سنة ١٢٩٧ هجرية

افتتحت سنة ١٢٩٧ سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية بيوم الاثنين
[٤٠] الموافق سادس كيهك سنة ١٥٩٦ ست وتسعين / خمسماية وألف قبطية، وخامس عشر ديسمبر سنة تسع وسبعين وثمانمائة وألف ميلادية، والناس فى شاغل عن مصالحهم المعاشية، عاكفون على شراء الفراش والطنافس وأصناف البسط والكراسى والخيام والسرادقات والنجف، وصنوف الفوانيس والشمع والزيت ومعدات الزينة، حيث أرسلت الرسائل من ديوان الخديو الخاص إلى كافة مديرى ومحافظى الجهات، مؤذنة باستعداد أهالى المدن والبنادر للقاء الخديو، حيث عزم على زيارة جميع البلاد والتجول فى داخلية القطر، فكانوا يكثرون من شراء الأوانى النفيسة، والكراسى المذهبة، وغير ذلك من وسائط السرف والتبذير على عسر منهم، وإفلاس كما سيأتى بيانه فى محله.

وفى غرة محرم الحرام، هرع الناس وموظفو الحكومة الملكية، وضباط الجند والعلماء والأعيان والوجهاء إلى مقر الخديو بالإسماعيلية لأداء مراسم التهانى، بدخول العام الجديد فأطلقت المدافع من قلعة الجبل كالعادة المألوفة فى مثل هذه الأعياد وعملت التشريفات.

[٤١] /قيل وتكلم الخديو فى هذا اليوم مع الكثير ممن تقدموا لتهنئته وأظهر لهم علامات البشر والإيناس، وقال لبعضهم: إنه على أهبة التجول فى داخلية البلاد والنظر فى مصالح الخلق، ثم انصرفوا جميعًا، وفى العشرين منه

ركب الخديو قطارًا مخصوصًا من محطة بولاق الدكرور وسافر إلى مدينة الفيوم، ثم عاد منها إلى (الواسطة) وركب فى باخرته المسماة فيروز قاصدًا المدن والبنادر القبلية لغاية أصوان، قيل فكانت أهالى البلاد تقابله بالطبول والزمور وتنحر عند خروجه إلى المدن والبنادر عجول البقر، وفحول الجموس، وتسير أمامه عند تجوله فى شوارع المدن طوائف الهوارة[1] وفرسانها وأرباب الأشاير وأصحاب الطرق[2] وكان الكثير من المدن الكائنة على ضفتى النيل مزينة بالأنوار وصنوف الزينة إجلالاً لقدومه، فكان يمر ببعضها مرورًا وينزل ببعضها يومًا أو بعض يوم حتى انتهى به السفر إلى مدينة أصوان، فعاد إلى مصر المحروسة على ما / سيأتى بيانه فى [٤٢] محله.

وفى الرابع من صفر الخير رفع الرئيس مصطفى رياض باشا إلى الخديو عريضة، عدد فيها تلك الضرائب والمكوس القادحة[3] التى كان ضربها الخديو إسماعيل فى أيامه على أهالى البلاد فأثقلتهم، وأذهبت بثروة الزراعة والتجارة، والتمس من الخديو التصديق على إلغائها وتخلص الناس منها، حيث كتب فيها يقول.. مولاى عندما شرعت حكومتكم فى التحرى بغاية الدقة عن سائر موارد إيرادات الحكومة، قد رأت الحكومة فى مبدأ الأمر استبدال ضريبة الملح باستقلال الصنف المذكور وبيعه بطريق الاستحكار، وإنما جملة من العوائد الأخرى تستحق البحث فيها. فإن قاعدة ضرائب بعضها سيئة، وطريقة تحصيلها أسوأ، وكلاهما مخالف المخالفة الكلية لشؤون العدالة والإنصاف التى هى من شيم حكومتكم

---

(١) قبائل الهوارة أهم قبائل الصعيد.

(٢) الطرق الصوفية، وكان لها أكبر الشأن فى هذا العصر.

(٣) بمعنى الفادحة.

السنية، والبعض الآخر من تلك العوائد مع كونه مضايقا للممولين، ومعطلاً
[٤٣] لتقدم التجارة والصنائع، فلا يتحصل منها لجهة الخزينة / إلا مبالغ واهية، لا تكفى فى غالب الأحيان لمصاريف تحصيلها فالفوايد الشخصية المقررة بدكريتو أى أمر ١٩ ديسمبر سنة ١٨٧٥، هى من ضمن العوائد الأكثر غدرًا برعايا سدتكم، وتعريفها على الأهالى بمعرفة مشايخ النواحى، حاصل منه مخالفات كلية، وضرر للأهالى لأن تحصيلها من المملول[١] يترتب عليه فى غالب الأحيان تكليفه بعوائد مضاعفة حيث إنه مكلف بعوائد الويركو، وبما أن العوايد الشخصية مقررة على الأغنياء والفقراء من الأهالى، فالضرر الأكثر عائد على فقرائهم، كما يحصل ذلك فى جميع العوائد المقررة على الأشخاص من أغنياء وفقراء.. وأما الويركو[٢] فإنه ليس مضروبا على الممولين فقط المتعاطين لحرفة بل عام على كل من يثبت أن له إيرادًا من الأطيان أو بالحرى على كل من لم يبرز حجة تملك أطيان، ولما كان تحصيله صعبًا جدًّا ترتب عليه تأخيرات جسيمة لا يمكن تحصيل أغلبها من معظم الأهالى..

وعوائد التمغة على المصنوعات البلدية الجارى تحصيلها بواقع خمسة فى
[٤٤] المائة على قيمة تلك المشغولات، / لما كانت مجعولة على الصنائع السابق ضرب الويركو عليها، منعت تقدم الصنائع الصغيرة التى ينبغى تشويق أربابها، وهذا من باب حسن السياسة، ومن كل الوجوه لأجل تقدمها فى القطر.. وفضلاً عن ذلك أن الأجانب لا يدفعون شيئًا من هذه العوائد فلا يتيسر للصانع ابن الوطن أن يجارى، أو يبارى بصناعته الأوروباويين فى

---

(١) يقصد الممول.

(٢) الويركو: الجزية السنوية التى كانت ترسلها مصر إلى استنبول والتى استدانت الحكومة العثمانية بضمانها، فأصبح هناك ما يسمى بدين الويركو الذى يتحدث عنه المؤلف.

اشتغالهم... وهذا الملحوظ نفسه، ينطبق على عوائد الدلالة، وعوائد الوزن وعوائد بيع المجوهرات، التى ليست مضروبة على أرباب التجارة الأجانب، التى تصيّر التجارة الوطنية فى أحوال عدم مساواة، فيمتنع اتساع دائرتها فى القطر: ومصاريف تحصيل عوائد الدخولية فى النواحى هى فى غالب الأحيان أكثر من محصول هذه العوائد ولما كان التحصيل جاريًا بدون تفتيش عليه، حصلت منه مضايقات أوجبت المزارع أن يترك بيع محصول زراعته بالأسواق فى أغلب الأوقات..

وعوائد معاصر الزيوت، أضرت بأرباب هذه الحرفة الم بضرر بليغ من ورود مقادير من زيت الغاز، يزداد وروده يومًا فيومًا ثم والمساكن بالنواحى / التى لا تتجاوز قيمتها فى أغلب الأحيان جنيها واحدًا مصريًا [٤٥] مضروب عليه عوائد من غرش واحد إلى خمسة غروش وجار تحصيلها برسم عوائد تنظيم، مع أن المصاريف على التنظيم فى تلك النواحى هى عديمة الوجود تقريبًا ولذلك متأخر من العوائد المذكورة عوائد جسيمة، هذا فى حالة ما لا تمتنع أهالى النواحى عن دفعها تمنعًا كليًا.. فبإلغاء العوائد الشخصية وتجديد تحصيل الويركو من الممولين المتعاطين حقيقة كارا من الكارت[1]، تخفف الحكومة الحمل الذى يثقل كاهل الزراعة التى عليها المدار الأعظم فى إيرادها.. ويمكن الحكومة بفعل هذا العدل أن تتمم ذلك بدون حصول نقصان محسوس فى إيرادات الخزينة لأن محصول ضرائب الأطيان يزاد بداعى التخفيف المسموح للمزارع بإلغاء العوائد العديدة التى تضره الآن فى إيراده..

وأما من خصوص باقى العوائد المنوه عنها فى مشروع الديكريتو أى

---

(١) حرفة من الحرف.

الأمر الذى أتشرف بعرضه على أعتابكم الكريمة، التى سردناها هنا
[٤٦] بالاختصار أن إيراداتها التى كانت مندرجة فى الميزانية بعد خصم مصاريف/ تحصيلها هى جزئية جدًا.. وفى تحصيل هذه العوائد لا يوجد فائدة تقابل المضايقات المترتبة عليها للمولين والموانع الناشئة عنها، لاتساع دائرة الصنائع وعدم تحسين الثروة العمومية. فبطلب إلغاء هذه العوائد التزمت بأن لا ألتفت لتحصيل متأخرات العوائد المذكورة..

أما المتأخرات لغاية سنة ١٨٧٥، التى ما أمكن البتة تحصيلها من ابتداء سنة ١٨٧٦ لحد الآن، فلا شك أنها مطلوبة من فقراء عاجزين عن أدائها فيصرف النظر عن تحصيلها منهم، ومع ذلك فإنه يوجد بعض متأخرات قبل سنة ١٨٧٦ مطلوبة من أشخاص لهم دين على الحكومة، فهذه يتيسر حصولها بطريقة المقاصة، ولم يكن يخطر ببالى أن أطلب يا ولى النعم من مراحمكم الخديوية ومكارمكم الداورية إلغاء واحدة من هذه العوائد، مهما كانت مرغوبة بالنظر للعدالة لولا اعتقادى بإمعانى النظر بالدقة بأن حسن التحصيل فى أموال الأطيان يعوض النقص الظاهر فى الإيرادات، التى يجرى عليها الإلغاء البادى ذكره[١] بل ربما يزيد عن التعويض.. فالنتائج
[٤٧] التى بذلت جهدى للاستحصال/ عليها فى صورة الديكريتو المعروضة لسدتكم، هى اختصار مصاريف التحصيل وتنقيصها وتخفيف مضايقات المولين بدون حصول ضرر محسوس للخزينة.. فإن شآت[٢] الحضرة الخديوية والسدة الداورية بذكائها الوافى وعدلها الشافى فتتفضل بالتصديق عليها ا.هـ.

قلت فمن التأمل.. فيما حوته هذه العريضة يعلم كم كانت تقاسى

---

(١) السابق ذكره.

(٢) شاءت.

البلاد وأهلها على عهد الخديو إسماعيل من المظالم والضرائب القادحة التى لم تدخل تحت حصر، أو حساب، وسيأتى ذكر من تسبب فى زوالها رحمة بأرباب الحرف وأهل الصنائع، الذين أهلكهم العوز فتمزقوا كل ممزق.

وفى الخامس منه أى من صفر الخير أصدر الخديو أمرًا بناء على ما رفعه إليه الرئيس مصطفى رياض باشا، مفاده أن يزاد ابتداء من سنة ١٨٨٠ ميلادية على أموال الأطيان العشورية مائة وخمسين ألف جنيه مصرى سنويًا. وعلى أن هذه العلاوة يصير توزيعها على جميع الأطيان العشورية بالنسبة للضرائب المربوطة عليها، فكان لصدور/ هذا الأمر أثرًا رديًا[1] [٤٨] جدًا عند أصحاب تلك الأطيان دفعهم إلى التشاؤم والتطير من أعمال الرئيس ونتائج رئاسته.

وفى الثانى والعشرين منه أرسل المسيو دى كريمر[2] أحد مديرى صندوق الدين العمومى خطابًا إلى الرئيس مصطفى رياض باشا، يقول.. إنه بتاريخ ثلاثة يناير الماضى أخبرتمونا بصدور أوامر عطوفتكم لجميع المصالح المخصص إيراداتها للدين العمومى بأن تبقى فى خزائنها وديعة ما تحصله من النقود إلى أن يصدر لها أمر آخر، وذلك تسهيلًا لتنفيذ التسوية المالية الجارى تحضيرها، ومزمع تقديمها لنا قريبًا ففى جوابنا الرقيم ثالث عشر من الشهر المذكور المرسل إلى عطوفتكم اكتفينا بالمحافظة على حقوقنا بشأن هذه المخالفة للأوامر المرعية لاعتقادنا إزالة تلك المخالفة، فى أقرب وقت.. ثم إن عطوفتكم أخبرتمونا بالإفادة الرقيمة، رابع عشر يناير المذكور بأن المديريات الأربعة[3] المخصصة وارداتها للدين، وسكك الحديد

---

(١) أثرا رديئا.

(٢) المسيو دى كريمر ممثل النمسا فى صندوق الدين.

(٣) صحتها المديريات الأربع وهى البحيرة والمنوفية والغربية وأسيوط. وهى أغنى المديريات المصرية وقتذاك.

دعيت بأن تورد إيراداتها من غير انقطاع لصندوق الدين العمومى،
[٤٩] كما كانت وتفضلتم علينا/ بإعادة التأكيد بحل المسئلة[١] بوجه السرعة بخصوص إيرادات باقى المصالح المرهونة، ونحن فى انتظار ذلك لغاية الآن: وفى الحادى والثلاثين منه أرسلتم لنا كشفًا بإجمال النقود الموجودة طرف كل من مصلحة الكمارك، والدخولية، والدخان، والمطرية، والهويسات، وكوبرى قصر النيل البالغ مجموعها ٩٤ قرش[٢] ٧٥٢١ جنيها مصريا فنلتمس من عطوفتكم مزيد دقة الالتفات لما يترتب على امتداد حالة مغايرة، مثل هذه من الارتباك.. هذا ولاعتقادنا قصر مدة ذلك الأمر الذى أوقف الآن تنفيذ نصوص الأوامر الصادرة فى سنة ١٨٧٦، التى عليها مدار التأمين على الدين عدلنا عن المعارضة فى الأمر المذكور كى لا يحصل مانع فى التصفية المالية، العائدة بالفائدة على نفس أرباب الديون، غير أنه لا يمكنا مطلقًا البقاء على هذه الحالة مدة مديدة من الزمن، فنرجو عطوفتكم إخبارنا بأسباب التأخير الحاصل فى نشر صورة التسوية، ربما إذا كان تيسر لعطوفتكم تحديد ميعاد لذلك، لأن ما يلزمنا
[٥٠] فعله متوقف على ما يرد لنا من الإيضاحات.. هذا/ والذى نأمله فى عطوفتكم أنه عندما يتراءى لنا لزوم طلب إعادة توريد الإيرادات المذكورة لصندوق الدين، تحصل إجابة طلبنا نظرًا لمقتضيات وظيفتنا حتى لا نلتزم بإجراء الطرق القانونية للحصول على هذا الغرض ا.هـ.

ففى الخامس والعشرين منه أرسل إليه الرئيس يقول أيها السادة: طلبتم منا فى جوابكم الرقيم أربعة فبراير، إعادة توريد إيرادات الكمارك، والدخولية، والدخان، والمطرية، والهويسات، وكوبرى قصر النيل بصندوق الدين، فأما السبب لحفظ إيرادات الكمارك بخزينتها فناشىء من احتمال

---

(١) صحتها المسألة. (٢) صحتها قرشا.

تنفيذ ما طلبت لجنة التفتيش من تخصيص هذه الإيرادات لسداد مطلوب السنديكاتو، وبما أن هذه المطلوبات قد تسددت بطريقة أخرى. فقد أمرنا مصلحة الكمارك بتوريد الإيرادات المحفوظة بخزينتها بصندوق الدين، غير أنه لا يمكنى الآن أن أصرح بتسليم باقى إيرادات الجهات الأخرى، التى هى قليلة الجدوى إلى الصندوق، إذ أن المسائل المتعلقة بسن اللائحة المالية لم تنته بعد، والمنظور أن هذه اللائحة تستلزم/ تغيير تخصيص [٥١] إيرادات هذه الجهات حسب طلب لجنة التفتيش، أما استفهامكم عن أسباب تأخير ظهور اللائحة المالية، وطلبكم بتحديد وقت لذلك إن أمكن فجوابه أنى لم أرَى[١] أحدًا متأسفًا مثلى على تأخير ظهورها إذ أنه قد أخر أيضا بمصالح أغلب الديوان، ومع ذلك فإنى لست بمسؤول عن هذا التأخير، خصوصا وقد أجرت الحكومة المصرية ما يختص بها فى تنفيذ الإصلاحات. التى رؤى لزوم إدخالها عملاً بما رأته لجنة التفتيش التى قد كنتم من أعضائها. ولم تنكص عن إلغاء المقابلة معها[٢] فى إلغائها من الصعوبات.

وقد طلبت لجنة التفتيش أيضًا ضم مائة وخمسين ألف جنيه مصرى على الأطيان العشورية[٣] وبناء على طلبها قد صدر أمر فى الثامن عشر من شهر يناير سنة ١٨٨٠ بضمه، وطلبت كذلك إلغاء العوائد الشخصية وإعفاء الفلاحين من ويركو أرباب الكارات، والصنائع، وإلغاء جملة عوائد دنيئة وعلى ذلك صدر أمر سابع عشر يناير أيضا.

وطلبت كذلك تعديل طريقة تحصيل عوائد الملح، فصدر/ أمر الحادى [٥٢]

---

(١) صحتها «أر».

(٢) صحتها مع ما.

(٣) الأطيان العشورية هى أطيان الأباعد والجفالك والأواسى عرفت بهذا الاسم عام ١٨٥٤ حين أصدر محمد سعيد قرارًا بفرض ضريبة العشر على تلك الأطيان.

والثلاثين من ديسمبر بجعلها بحسب الاستهلاك بدلاً عن كونها مضروبة على الرؤوس، وتعداد النفوس، وكذلك طلبت استبدال طريقة السخرة الاستبدادية بطريقة عادلة، مقتضاها توزيع الأشغال العمومية على عموم المولين غير أن هذه المسئلة[1] المعضلة لم تحل حلاً نهائيًا، ومع ذلك فالحكومة أجرت على سبيل التجربة استعمال الطرق التى استوعبها مجلس النظار فى التاسع والعشرون[2] من ديسمبر سنة ١٨٧٩.

وطلبت أيضًا أن يصير تنظيم ميزانية من عموم المحاسبات، فصدرت ميزانية منتظمة، ونشرت بأمر فى عاشر يناير سنة ١٨٨٠، وكانت هى أول ميزانية منتظمة، صدرت من حسابات الحكومة المصرية، وسيجرى من الآن العمل بمقتضاها فى الحسابات.

وطلبت أيضًا تنظيم وترتيب طرق تحصيل الإيرادات بالخزينة المدونة فى بند عشرة من الأمر الصادر فى ثانى يناير سنة ١٨٧٩، وبناء عليه تحررت شروط فى ثامن شهر فبراير سنة ١٨٨٠، مقتضاها أن البنك العثمانى افتتح
[٥٣] حسابًا جاريًا للحكومة مؤذونًا بعدم طلب الأموال من/ المولين إلا فى الأوقات التى تسهل لهم فيها دفعها، حسب طلب لجنة التفتيش، وطلبت أيضًا ترتيب وتشكيل قلم قضايا قائمًا بنفسه للحكم فى التشكيات[3] المتعلقة بالضرائب، فترتب بأمر فى الحادى والثلاثين فى ديسمبر لجنة للنظر فى ذلك لحين ترتيبه بطريقة قطعية.

وطلبت أيضا أنه لا يتحصل شىء من الأموال إلا بموجب قانون يصير نشره فى جريدة رسمية، وتعديل الضرائب وأن دفاتر المكلفات السنوية تحرر بموجب المساحة، فبناء عليه شكلت لجنة بأمر فى السابع والعشرون[4]

---

(١) صحتها المسألة.
(٢) صحتها والعشرين.
(٣) الشكاوى.
(٤) صحتها والعشرين.

من ديسمبر سنة ١٨٧٩، وباشرت العمل فى أشغالها، واشتغلت بسن قوانين متعلقة بالضرائب، وبالنظر أيضًا فى نتيجة أشغال مصلحة المساحة وإصلاح أجرائها، وقد عرضت هذه اللجنة لائحة مختصة بتحديد مواعيد دفع الضرائب، وسيجرى العمل بموجبها من أول هذه السنة، وقد بدئ بإنشاء المكلفات على سبيل التجربة فى مديرية الجيزة، وأخيرًا صار طبع مجموع القوانين واللوائح / الرسمية، التى ظهرت من سنة ١٨٧٦، وستظهر فى كل [٥٤] شهر. وطلبت كذلك تعديل طريقة تحصيل ضريبة الدخان البلدى، فبناء عليه صار قانون فى تسع وعشرين مارس سنة ١٨٧٩ ولم ينفذ، إلا بعد أن عدل بأمر فى تاسع عشر يناير سنة ١٨٨٠، ومع هذا كله لم تقتصر الحكومة على تنفيذ هذه الإصلاحات الإدارية والمالية فقط، بل بذلت ما فى وسعها لتنظيم ماليتها، فدفعت فى شهور ديسمبر سنة ١٨٧٩، ويناير سنة ١٨٨٠ لأرباب الدين الغير موحد نحو مليون ومائة ألف جنيه، وأزالت الرهنيات التى منعت دفع باقى سلفة روشيلد[١] ولم تزل تخابر دول أوربا لاستجلاب رضاها، بدفع متأخر ويركو الباب العالى ومتأخر المرتبات والمعاشات من هذه السلفة، حسب طلب لجنة التفتيش فضلًا عن كونها قد سوت دين السنديكاتو، وقد قبل ما عنده من البونات فى مقابلة دينه، ولأجل سهولة تخلص إيرادات مينا إسكندرية ودفعها لصندوق الدين، قد عقدت الحكومة شروطًا مع الخواجة جرينفلد ترتب / على عقدها نقص مطلوبه حتى صار [٥٥] خمسمائة وثلاثين ألف جنيه ليس إلا.

وكذلك فوضت الحكومة لبعض لجنات[٢] النظر فى سائر أملاكها، وتقدير قيمتها، لبيعها، وقد تم ولله الحمد أعمال بعض هذه اللجنات، وأما ما يتعلق بالدين الموحد: القنصلية: فقد صار عنه خطاب من الجناب

(١) يقصد روتشيلد. (٢) يقصد لجان.

الخديو فى سادس يناير سنة ١٨٨٠، يتضح منه لجنابكم كيفية تعهدات الحكومة مع باقى حاملى البونات.

وقد كان بود الحكومة تسوية أعمال التصفية، غير أنه عاقتها فى ذلك الوقت أسباب وموانع، منها: أن معارضة روشيلد لدفع الأموال على الأملاك المرهونة على سلفة سنة ١٨٧٨، وشططه فى المعارضة حتى زعم عدم وجوب دفعها، وذهب إلى أنه إذا لم تحصل تلبية طلبه، لابد وأنه يتوقف عن دفع باقى السلفة، وأظنكم لا تنكرون ما حررته فى هذا الشأن إلى وكيل روشيلد المذكور، والظاهر لنا أن الحق الذى للحكومة ليس محلاً
[٥٦] للاعتراض / والمنازعة، وذلك مما يوجب حصول الأمل فى الوصول لحل المسئلة[١] من غير لزوم، لتوسط المحاكم، ولا شك عندنا فى أنكم ترون ذلك كما هو ترائى لنا، على أن دفع الباقى من السلفة لا يمنع من حدوث مشكلات أخرى لا يتأتى للحكومة حلها بمفردها.

هذا وعلى فرض توريد باقى السلفة لصندوق الدين، فلا يتأتى للحكومة تأديته إلى أرباب الدين السائر[٢] الذين عقدت هذه السلفة، لأجل تسديد ديونهم فإنه سبق تنازل الحضرة الخديوية وأعضاء عائلتها عن أملاكهم للحكومة، لتتمكن بذلك من عقد سلفة، وقد تم عقدها فمع ذلك ما زالت الحكومة مضطرة إلى الحصول على توافق[٣] أربعة عشر[٤]

---

(١) صحتها المسألة.

(٢) الدين الموحد: فى ٧ مايو ١٨٧٦ أصدر الخديو إسماعيل مرسومًا بتحويل ديون الحكومة ودين الدائرة السنية، والديون السائرة إلى دين واحد سمى بالدين الموحد قدره ٩١ مليون جنيه إنجليزى.

(٣) بمعنى موافقة.

(٤) وصحتها أربع عشرة.

دولة لسداد المطلوب لدين واحد، فإن لم ترض إحداهن بذلك كما وقع من عهد قريب تلتزم الحكومة بأن تؤخر، إما سداد الديون التى تستمر فائدتها محسوبة باعتبار اثنى عشر فى المائة، وإما دفع ويركو الاستانة الذى هو أول واجب على الحكومة المصرية، وإما دفع الماهيات والمعاشات، والباقى منها متأخرات/من عدة سنين، وعلى فرض الحصول على إرضاء الأربعة عشرة [٥٧] دولة المذكورة، والاستولاء[١] على الباقى من سلفة الأملاك الأميرية، فهذا لا يمنع من حدوث مشكلات مماثلة للمتقدمة، فإنه قد أعرف قومسيون التحقيق بأن إيرادات الحكومة، لا تمكنها من الاستمرار على دفع الدين الموحد باعتبار سبعة فى المائة، ورأى من الضرورى أن يطلب من أرباب الدين السائر[٢] تجاوزهم عن مبالغ، صار الاجتهاد فى جعلها قليلة بحسب الإمكان بحيث لا يحمل المستقبل، بما لا يمكنه القيام به من التكاليف إلا أنه من المستحيل فعلاً الاستحصال على رضاء جميع الديانة[٣] بتسوية تجعل حقوقهم محصورة فى أى قدر كان، أو توخى المطالبة بها، ومن المعلوم أن حاملى بونات الدائرة على المالية، وأرباب الدين الحائزين لرهونات عقارية قد فازوا بحصولهم على ديونهم بالكامل، بسبب امتناعهم من قبول كل تجاوز على إجراء أى وسيلة جائزة قانوناً، ولو كانت مضرة بباقى الديَّانة وبالحكومة، كما أشار إلى ذلك/قومسيون التحقيق، فاقتداء بهؤلاء [٥٨] يؤمل بعض مداينين آخر وصولهم إلى مثل هذه النتيجة، وباتخاذهم تلك التشبثات غير مفتكرين فى أن ما سبق تسديده من الديون يكون سبباً آخر لمنع قبول طلباتهم.

---

(١) الاستيلاء.

(٢) الدين السائر: هو الذى نشأ عن المعاملات المدنية والمشتريات وليس عن قرض حكومى.

(٣) الدائنين.

هذا وليست الحكومة المصرية بأول من اضطر لتنزل فائدة دينها، بل إنما[1] هو حاصل لها الآن من الاضطرار الكلى لذلك التنزيل حصل بغيرها فى مثل هذه الأحوال، من نفس الحكومات الأروباوية إلا أن ما أصدرته الحكومات المذكورة من القرارات فى هذا الشأن، لم يقدم لأى محكمة كانت، وذلك بخلاف الجارى فى القطر المصرى فإن حاملى / سندات الدين الموحد [٥٩] يعتقدون بأن لهم الحق فى طلب الحكم على الحكومة بإلزامها بتكملة فوائد دينها، مع أنه لا يمكنهم فعل شىء مثل هذا فى أى حكومة أخرى، فإن حصل ذلك ترتب عليه تكليف الحكومة بأن تدفع مبلغًا يقرب من مليون وسبعمائة ألف جنيه إنكليزى لتكملة الكوبونات الثلاثة الأخيرة، فإذا حصل التأمل بقطع النظر عن غير ما ذكر من الأسباب فى حقيقة صالح حاملى السندات، ينبغى الاعتراف بأن هذه الطلبات مضرة بهم، إذ أن الصعود التدريجى لأسعار الدين الموحد دليلًا على أن معظم أرباب الدين الذين اعتبروا طلب الحكومة تنقيض الفائدة أمرًا لازمًا لضمانة نفس قيمة المرهون لهم.. ومن المحقق أنه لا يتأتى القول مقدمًا بقبول هذه الطلبات، إذ لو قبلت لتعذر على الحكومة تعذرًا كليًا دفع ما يحكم به عليها، وحينئذ يكون عدم تنفيذ ما يصدر فى ذلك من الأحكام أمرًا وخيمًا جدًا فتعترف به علانية.

وأهم الأمور المشتغلة بها الحكومة الآن، هو اجتنابها حصول تناقض فى المستقبل بين الممكن لها، والواجب عليها قانونًا فعله.

والحاصل نخبركم أيها السادة بأنه متوفر فى القطر المصرى جميع المواد، التى يمكن بها الحصول على الثروة والرفاهية العمومية، وأن الحكومة مالكة

---

(١) ان ما.

بعزم وهمة طريق الإصلاحات الموصلة لاتساع دائرة هذه الرفاهية، وأن المفتشين العموميين وحضرات النظار التى سلمت لهم الحضرة الفخيمة الخديوية زمام إدارة المصالح والأشغال على أتم وفاق فى/ المقاصد [٦٠] والأفكار، إلا أن جميع تلك المواد الموجبة لوجود هذه الرفاهية متعطلة، بسبب ما هو حاصل من تقييد الحكومة فى وضع القوانين الناشىء ذلك من مداخلة[١] الدول فى هذا الخصوص، وإطلاق هذا التداخل، يمنع من الاستفادة من الأحوال الحسنة التى عليها القطر المصرى الآن، هذا ولا يتأتى لأى حكومة البقاء إذا لم يمكنها وضع القوانين اللازمة لإدارتها، وبناء على ذلك يلزم أحد أمرين: إما أن يكون للحكومة المصرية ما لها من الحرية الكافية لوضع القوانين اللازمة لها، أو أن تتحد الدول فى إجراء ذلك بالإتفاق معها، فإنها مستعدة لقبول كلا هذين الأمرين الموصلين لحل مسائلها، وإذا أرادت الدول تشكيل قومسيون، رخص له الترخيص اللازم لوضع قانون التصفية، فهى مستعدة لتشكيله بالشروط المبينة فى تقرير المفتشين العموميين الرقيم ثلاثين شهر نوفمبر سنة ١٨٧٩، الذى قبله مجلس النظار # وإما إذا لزم للتوافق المقتضى الحصول عليه فى هذا الشأن الدخول أيضًا فى مذاكرات مديدة، فيكون فى معلومية الدول أنه لا يمكن الاستمرار على الحالة الراهنة، من غير وقوع ضرر لصالح القطر،/ بل [٦١] ولصوالح مداينيه من كل ملة، وإنه لا يتأتى تأخير إجراء الطرق اللازمة للمحافظة على الصوالح المذكورة إلى زمن غير محدود، ولولا معلومية مجلس النظار باستمرار المذاكرات، بخصوص تشكيل قومسيون التصفية، لكان قدم قبل الآن صورة تسوية للتصديق عليها، من الحضرة الخديوية، وكان صار عرضها بعد ذلك على الدول، والإجراء مؤقتًا بمقتضى نصوصها فى حق

---

(١) تدخل.

من يقبلها من أولى الشأن فيها # فهاكم أيها السادة: الأسباب التى أوجبت تأخير التسوية المالية، ولم تكن المسئولية الناشئة من هذا التأخير عائدة على الحكومة التى ما زالت تنجز ما هو متعلق بها لسرعة حل مسائلها وهى أول من يعترف بضرورة سرعة حلها - انتهى بنصه.

وفى هذا الأثناء عاد الخديو إلى مصر المحروسة بعد تغيبه فى الصعيد أيامًا، فهرع رجال الحكومة، والجند، وضباطها، وموظفو الدواوين الملكية، والعلماء، والرؤساء الروحيون، إلى مقره بالإسماعيلية يهنئونه وازدحمت على أبوابه الشعراء المطرون يمتدحونه بالقصائد، والخطب فقدم له أحد الأدباء الشيخ على الليثى قصيدته هذه:

[٦٢] /لك الله يا قلبى فكم تتحمل ... أمالك عن داعى الغرام تحول
تحاول وصلاً والشباب شفيعه ... وتصبو إلى ليلى وليلك تمطل
زاع لمنائها وإن هى قد دنت ... تـدين لمـرآهـا ولا تتمهـل
لك الله كم داريت فيها عوادلاً ... عليك بماينى سواك تقولوا
تراعى الوفا فى الحب والحب غادر ... وعنـد التجنى مغضبا تـذلل
أمـا لك يـا قلب سلو وتتقى ... سهام المنايا حيث كان التذلل
على م أبحت الحب نفسًا عزيزة ... فهامت وصارت بالضنا تتجمل
ينام خلى القلب ملء جفونه ... وأنت على جمر الغضا تتململ
مقيم الوجد والسهد والأسى ... ووصل الذى تهواه ليس يحصل
سواك طليق مثل دمعك فى النوى ... وأنت أسير فى هواك مكبل
إذا صدحت ورقا فى ظل دوحة ... تسير جوى بين الضلوع وتشعل
فهلا ربحت العمر واعتضت عن عنا ... غرامك فى ليلى الذى هو أكمل
ترغم حسادًا أو تعمى عوازلا ... وتختال فى بر النعيم وترفل
وتلحظ فى النادى بعين مهابة ... وتحفظ فى الدانى وفى البعد توصل

وهذا مرام لا ينال لذى علا ... إذا لم يقم فيه مقام يبجل
وما هو إلا أن يقلد عصره ... عقود نظام بالدرارى تفصل
فيسمو على الإعصار ينها ويرتقى ... إلى سدة فيها له ما يؤمل
/إلى سدة من أمها أم منهلا ... هنيئًا بعل الواردين وينهل [٦٣]
بها نورت الحمد والمجد والعلا ... مليك الورى توفيقا يتهلل
إذا قال قولاً كان شفيعًا بفعله ... وهل غيره أن يقال من مثلى يفعل
له الله من مولى يدار بذكره ... على مسمع الدنيا رحيق وسلسل
عو الفرض الأقصى لألسنة الثنا ... لذاك إليه المدح يهدى ويحصل
إذا اللسن المنطبق أهدى ثناءه ... إليه فمعناه به يتكمل
إذا عد أفراد العصور أخو حجى ... تقول المعالى إن توفيق أول
همام إذا ما الدهر لاذ بركنه ... تهنئة الدنيا بأن لست تخذل
فتى العزم لكن راية الشيب دونه ... وغصن الصبا غض فلا يتكهل
وقور إذا ما الأمر طاشت به النهى ... وخف يثير عند ذاك ويذيل
أما وأيام العصر عند سياحته ... ركاب كفيه البدر والملك منزل
نشرت به المأمول منك لدى الورى ... من العدل والإحسان والحر يعدل
علا بشرك السامى البسيطةواجتلت ... عيون الرعايا منك ما ليس يجهل
أعدت إلى جسم الصعيد حياته ... فاخصب بالنعمى وقد كاد يحل
سررت قلوبا من بنية امضها ... زمان مضى والأمر فى الناس مفصل [٦٤]
وقربت أهل الدين والعلم والحجا ... وراعية حق الله وهو المفضل
فهذا هو العدل الذى يحرز الثنا ... وغربًا وشرقًا بالمدائح ينقل
ومثلك من يسمو لأكمل غاية ... سواك مجد دونها يتجدل
هنيئا أبا العباس ما شئت من علا ... تخب به الركبان وترفل
رقعت عن الأهلين ما ضاق زرعهم ... بحملانه خففت ما كان يثقل
نظرت إليهم نظرة الأب لابنه ... كذلك من ساس الممالك يعمل

سلكت بهم نهج الترى وأحاطتهم من الحزم طرف بالعفاة موكل
فكل لما أوليت مولاى شاكر ومجمل ما أسديت ليس يفصل
فسودوا بنى مصر وعودا إلى الهنا وجودوا إلى مجد سنى يؤثل
فعصر الخديو الشهم بالأمن والمن أفادكم ما كان يرجى ويؤمل
أجل أياديه علينا انتقاؤه رجال عليهم فى النظام المعول
تساموا بما يرضى المليك وأقدموا يصدق لحل الصعب والأمر مشكل
وساسوا بحسن الرأى سير الحكومة يمدهم توفيق بمن ويشمل
رجال لهم صدق العزيمة ميسم كبار النفوس للمعالى تأهلوا
رياض علاهم اينعت بمحامد وطاب برباها جنوب وشمال
وهل كرياض غرسها أثمر العلا لها من ندى توفيق عين وجدول
[٦٥] /ومن يجعل الأخيار للملك ساسة يصن ملكه عن عسف من يتحيل
وقد جمع الله المحاسن كلها لتوفيقنا إذ ليس للجور مدخل
وليلك عام عم بالبشر والصفا بدرتها فيها الرعايا تجمل
وللأذكياء اللسن فيها مدائح يقصر عنها فى السلسبيل جدول
تضمنت الذكر الجميل لملكهم إلى مثلها تطوى الفيافى ويرحل
يؤدى لو بالسبق أحرزت فضلهم ولم يرم بالأسقام منى مفصل
ولكن فرضًا أوجب الله حقه إذا رحت أقضيه فللعذر منزل
وهبنى نظمت الدهر والدر سابقًا أيبلغ نظمى قدره وهو أمثل
وإن دعائى كالأنام لمجده وسؤدد عباس لأوفى وأعدل
فلا زال هذا الملك منك ممتعًا فإنك للدنيا والدين مؤيد
وحيا الصفا عاما سررت به الورى تضمن للتذكار معناه جمل
أعدوه عدا وحيث كان مبديه سرور وقالوا أما به النظم يكمل
ركاب الخديوى ساحب اليمن بدره وان صعيدا أمه منه يأهل
ومذ زينت ارجاه قلت أرخوا سياحة توفيق بمصر تجمل

وفى الرابع عشر من ربيع الأول دفع الرئيس مصطفى رياض / باشا [٦٦]
إلى الخديو عريضة يقول فيها: «يا ولى النعم لما كان من مقاصدكم العلية وقاية الممولين من التحصيلات الغير قانونية مع تأكيد استقامة تحصيل ضرائب الأموال، عينتم بتاريخ السابع والعشرين من ديسمبر قومسيونًا مخصوصًا* للبحث فى جميع المسائل المتعلقة بضرائب الأموال، ولما أمضيتم ذاتكم الفخيمة هذا الأمر الكريم، قد أعلنتم فى آن وآخر إعادة النظر بوجه عمومى إلى تأسيس ضرائب الأموال، وأمرتم بتنظيم كيفية تحصيلها فلأجل الوصول لهذه الغاية، لزم ابتداء أن التحصيل يصير إجراؤه بقدر ما يسمح به احتياج الخزينة فى مواعيد محددة فى أوقات السنة، بها يمكن للممولين جنى ثمرة أتعابهم، لسير الأموال المضروبة عليهم بغاية السهولة، وعلى هذه الكيفية يمكن يتأكد للحكومة أن بتحصيل الأموال لا يجبر الفلاح على استقراض نقود بالربا الفاحش، تأتى نتيجتها غالبًا باضمحلال حاله، وزيادة على ذلك أيضًا من الضرورى أن الممولين يعرفون حقيقة مقدار الأموال السنوية المضروبة عليهم، والمواعيد التى تطلب منهم فيها، وانقيادا لهذه المقاصد الجليلة، قد بادرت بوقتها حالا بإعطاء التعليمات اللازمة، لمديرى المديريات حتى إن كل ممول يجرى إخباره بالدقة / عن قيمة الأموال المطلوبة منه سنويًا، قال: ولم يبق علىّ إلا طلب [٦٧]
التفات قومسيون ضرائب الأموال على ضرورة اقتراح لائحة تبين مواعيد دفع الأموال قبل كل شىء، وطبقًا لطلبى أجرى القومسيون على هذه المسألة تحرياته الابتدائية، ومن بعد أن سأل، وتخابر مع المديرين، والعمد، ومأمورى التحصيل فى المديريات المختلفة يتم له اقتراح لائحة، توضح فيها شهريا مقادير الأموال المقتضى تحصيلها فى كل مديرية، ومجلس النظار

---

* لجنة خاصة.

بعد أن أمعن نظره بغاية الدقة أقر على نتائج هذه اللائحة إنما ترآى[1] له مع ذلك لزوم إجراء بعض تغيير خفيف فيها عن هذه السنة فقط، بوجه استثنائى فى المديريات المخصصة لخدمة الدين العمومى، وفى الواقع أن الكيفيات الخصوصية التى جرى التحصيل بها فى سنة ١٨٧٩، عطلت التحصيلات فى الأشهر الأخيرة من السنة الماضية، فنتج عن ذلك أنه إن لم يحصل هذا التغيير الخفيف المؤقت عن هذه السنة فقط فيما تضمنته هذه اللائحة، لترتب من ذلك أن قيمة الأموال المقتضى تحصيلها لحد شهر أبريل تكون غير كافية، لتسديد قسط الدين الموحد المستحق دفعه فى أول شهر مايو القابل # فهذه هى حالة استثنائية توجب تحصيل قيراطين
[٦٨] زيادة عن ما هو / وراد بالجدول المقدم من القومسيون، فى الأشهر الأوائل من هذه السنة فقط فى المديريات الأربع وهى: البحيرة، والمنوفية، والغربية، وأسيوط التى إيراداتها مخصصة لخدمة الدين العمومى، ويجب تنزيل هذين القيراطين[2] من قسطى شهرى نوفمبر وديسمبر القابلين[3] وإن البند الثانى من الدكريتو[4] الذى أتشرف بعرضه على أعتابكم الفخيمة القصد منه طريقة وقتية عن هذه السنة فقط على وجه استثنائى اهـ.

فصادق الخديو على هذا المشروع، وأصدر أمره بتنفيذ ما تضمنه من الأحكام، فكان له وقعا حسنا[5] جـدًا عند أهالى اليد وأصحاب المزارع والاقطاعات.

وفى السابع عشر منه نقلت الجرائد المحلية خبرًا عن بعض الجرائد

---

(١) صحتها تراءى.
(٢) أى نسبة ١ إلى ١٢.
(٣) المقبلين.
(٤) المرسوم.
(٥) صحتها وقع حسن.

الأجنبية، وهو أنه لما سافر مكاتب جريدة باريس تام[1]: الإفرنسية من مدينة مارسيلية إلى مدينة سيرا توجه إلى نابولى قصد مقابلة الخديو إسماعيل، والمحادثة معه للوقوف على خفايا أفكاره بعد إبعاده عن بلاد مصر، فلما أن وصل إلى مقره المعروف بقصر الفافوريتا من ضواحى مدينة نابولى، استأذنه فى الدخول فأذن له.. قال المكاتب المذكور فلم أر عليه شيئًا من علامات / الحزن والأسف، ولم يعتر شخصه أدنى تغيير.. فقلت: إن [٦٩] سمح مولاى، وحسن لديه أن يحدثنى بما يخفف عنه وحشة الغربة فيكون له الفضل الجزيل، قال فتبسم وقال: أى نعم إن أحسن الطرق التى اقترحت علىّ للحكم بوجبها فى الديار المصرية، هى طريقة المسيو جوبير[2] ولعمرى إنها كانت الطريقة الجديرة بالاتباع، لكن لسوء الحظ قد كنت محفوفاً ببعض حاشية السوء، فنكصوا عن مساعدتى، ولم يخلصوا إلى النصح، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، ومع كون المسيو جوبير كان مشهورًا بحسن الطوية وسلامة النية، إلا أنه قد تشيع أخيرًا لأرباب الديون تشيعًا زميًا[3] جدًّا، ولم يراع احتياجات البلاد وأهلها، التى كان يتعذر علىّ غض الطرف عنها... قال المكاتب فسألته عن رأيه فى مسح أطيان القطر المصرى فقال: نعم إن مسح أراضى الديار المصرية هو من الأمور قريبة النوال غير أنه يتيسر تحقيقها فى زمن قريب، بل يقتضى بها سنين عديدة ومعما[4] تحتاجه من الزمن الطويل فلا يختلج بفكرى قط

---

(١) Temps.

(٢) جوبير Joubert - العضو الفرنسى فى لجنة التحقيق الإنجليزية - الفرنسية التى جاءت إلى مصر فى أكتوبر عام ١٨٧٦ تحت اسم لجنة جوشن - جوبير للتحقيق فى شئون مصر المالية.

(٣) يقصد ذميا.

(٤) ومع مـا.

أن يترتب عليها إظهار الأطيان الحقيقية الغير مربوط عليها ضرائب
[٧٠] خصوصًا وأن تلك الأطيان ليست مقيدة فى دفاتر ديوان الأراضى قال/:
وليس من ينكر أن المرحوم سعيد باشا كان سن قانونًا، أباح فيه لكل من
يخبر الحكومة عن أى أراض لم تكن مضروبة عليها الضرائب المالية، مهما
بلغ مقدارها، أن يستولى عليها بلا معارض ولا منازع فى مقابلة[1] إخباره
الحكومة عنها، وربط الضريبة اللازمة عليها فنتج من ذلك أن أصحاب
الأراضى أخذ بعضهم يشكو بعضًا، ويظهرون عوراتهم وكان هذا القانون
سببًا باعثًا لتكثير إيرادات الحكومة، وظهرت مقادير عظيمة من الأطيان
التى كانت فى حوزة المزارعين، ما كان فى وسع الحكومة فى ذاك الحين
الوقوف على حصرها ومعرفتها، أى نعم. ولو قام فى ذلك الوقت أمهر
المساحين وبحث ودقق ومسح ولفق، لما أمكنه أن يزيد إيرادات الخزينة
قيراطًا علاوة على ما نتج من قانون المرحوم سعيد باشا السابق الذكر
هذا فضلاً عن وفرة مصاريف المساحة، وقلة جدواها، ولست أنكر أن
الأطيان هى أصل غناء وثروة الدار المصرية، ولكنى أقول يتعذر وفور
محصولاتها وإيراداتها أوفر مما هى عليه الآن.. قال المكاتب ثم انتقل من
هذا الكلام وهو يتنفس الصعداء إلى الثناء على المسيو فرسينيه رئيس
[٧١] جمهورية الفرنسيس، حالة كونه كما قال لا يعرفه إلا بالشهرة،/ ثم اثنى
أيضًا على الأمة الإفرنسية نظرًا لخلوص طويتها، واستقامة أحوالها ثم
انتقل إلى الكلام عن سياسة الإنكليز فقال: إن سياسة الإنكليز ليست
كسياسة الفرنسيس فى شىء ما، وبينهما كما يتخيل لى فرق عظيم جدًا على
أن الإنكليز تراهم أبدًا لا يعرفون إلا ما يرغبون فيه، ولكنهم لا يعرفون
ما هم فاعلوه: أى ويعلم الله: وأنى غير واثق بنجاح تكفل هذه الأمة

---

(١) فى مقابل.

بوقاية آسيا الصغرى، نعم، إنهم وإن كانوا قد أنشبوا أظفار أمانيهم فيها ونالوها، غير أنهم بعيدين[1] عن معرفة النتائج، التى لابد وأن تنتج من ذلك # قال: وقد زارنى فى مقرى هذا من عهد قريب أحد نبلاء الإنكليز فحدثته أيضًا بهذا الكلام وأعلمته أنه إن لم يكن معهم فى هذه الخطة العظيمة رجال مدربون من العثمانيين، فلا يأمنون مقت الأهالى وكراهتهم والنفرة منهم، وإن كان معهم رجال يقدرون الأمور قدرها الحقيقى فلا يؤمنون بغض الإنكليز لهم ومعاداتهم بل مناوأتهم # قال المكاتب: ثم تنهد وسكت، فعلمت أن لم يبق للحديث مجالاً فودعته وانصرفت عنه.

وفى التاسع من ربيع الثانى أصدر الخديو أمرًا بتحديد/ أعمال لجنة [٧٢] التصفية بعد إقرار الدول الكبرى على تأسيسها، وبعد استغراق الطويل من الزمن فى المخابرات والمناقشات بينها، وبين الحكومة المصرية فصار لهاته اللجنة الحق بمقتضى هذا الأمر، أن تنظر فى تحقيق الأحوال المالية بأسرها، وفى ترتيب ديون الحكومة بحسب ما يتحسن لديها، وفى ملاحظة تنقية الأحكام التى تصدر منها، وفى سن القانون الذى يصير تحضيره بمعرفة أعضاؤها[2] تنفيذه، بحيث لا يكون قابلاً أبدا للنقض ولو فيه ما يغاير قوانين المحاكم المختلطة وأصولها المرعية، فكان صدور هذا الأمر سببًا فى كساد التجارة الداخلية إذ خاف أصحاب الأخذ والعطاء وجمعوا أموالهم من المدن والبنادر والأرياف، فلم يجد أصحاب المزارع من يشترى غلة مزارعهم، حتى ضاق بهم الحال واشتد الكرب أيامًا وكانت بئس الأيام.

وفيه أيضًا صدر أمر آخر بتعيين هاته اللجنة، فكانوا المستر ريفرس ويلسون.. رئيس اللجنة..، والمسيو برافيلى، والمسيو بلج ده بوغاز.. والمسيو

---

(١) الصحيح بعيدون.

(٢) الصحيح أعضائها.

كلفن... والمسيو دومريكر، والمسيو ليرون، والمسيو دوتريسكو أعضاء، وقد
[٧٣] عينت الحكومة بطرس باشا غالى لينوب عنها فى هذه اللجنة وكانت/
مداولاتها جارية بأغلبية الآراء، وبناء على هذا التعيين أخذت الحكومة من
قناصل الدول التى لها الشأن فى هذه اللجنة، التعهد الدال على قبولهم باسم
دولهم أعمال هذه اللجنة بصفة قانون مرعى الإجراء، لا يتوقف قط على
استئناف، وأن قراراتها تكون معبرة لدى المحاكم المختلطة وكقانون واجب
التنفيذ بمجرد نشرها من لدن الخديو وعلى أن جميع القناصل[١] أى قناصل
دول ألمانيا والنمسا مع المجر وفرنسا وبريتانيا الكبرى[٢]، وإيطاليا تتعهد
بأن تشترك جميعها فى تبليغ هذا القرار إلى سائر الدول التى اشتركت معها
فى تأسيس المحاكم المختلطة فى الديار المصرية، وأن تدعوها لقبوله والموفقة
عليه، فكتب يومئذ صاحب جريدة التيمس الإنجليزية يقول: إن أمر تعيين
لجنة التصفية أزال الارتباك الأحوال، إذ صار لخمسة من الأربع عشرة دولة
أجنبية نواب فى تلك اللجنة: أما هذه الدول الخمسة فهى دولة الإنكليز
والفرنسيين وألمانيا والنمسا وإيطاليا وسيبرمون قريبا، بناء على قرار مجلس
التحقيق شروطًا مناسبة لحل الدين الموحد والغير موحد ويتعين على هؤلاء
[٧٤] النواب سماع كلام كل فريق له مصلحة فى هذه/ القضية، إلى أن قال:
لعمرى الحق أنا لم نر مملكة مذ خلق الله العالم إلى هذا اليوم لاقت ما لاقته
بلاد مصر من الصعوبات المدلهمة، للوصول إلى حل مشاكل أرباب ديونها،
ومع كونها فى وسعها أن تترك أرباب ديونها وشأنهم، وتنكر حقوقهم إنكارًا
لا يمكن إقامة الدليل على فساده لكنها مع ذلك لم تراع إلا جانب الحق ولم

---

(١) كان يمثل إنجلترا ولسون وبيرنج Baring الذى حل محل أوكلند كولفن فى يوبية، ومثل فرنسا ليرون ديرول وبيج دى بوغاس، والنمسا فون كريمر، وإيطاليا بارافللى. وألمانيا دى ترسكوف.

(٢) بريطانيا العظمى.

تسلك فى أعمالها إلا مسالك الشرف والصدق فللّه درها وللّه ما أقوم مسالكها اهـ.

وفى صباح يوم السبت غرة شهر جمادى الأول، اجتمع فى سراى الإسماعيلية رجال الحكومة يقدمهم[1] الرئيس مصطفى رياض باشا والمأمورون، والملكية، والعسكرية، وقاضى المدينة، والعلماء لأداء رسوم وداع الخديو، حيث عزم فى هذا اليوم على التوجه للجهات البحرية، وكان قد أعد لذلك جملة من وابورات البحر الخصوصية، فى أوائل الساعة الثالثة من النهار، فنزل الخديو وركب وابوره المسمى فيروز ومعه رجال ديوانه الخاص، وقام بعد أن ودع القوم فى الساعة الرابعة من النهار واجتاز من القناطر الخيرية إلى بنها العسل، ثم ميت غمر ثم زفتا، ثم سمنود، ثم المنصورة ثم دمياط فالمنصورة ثانيا، وقام منها بقطار السكة الحديد إلى بندر الزقازيق، ثم مدينة طنتدا[2] ثم المحلة الكبرى، ثم مدينة شبين[3] التى هى كرسى المنوفية، / ثم دمنهور، ثم دسوق إحدى مدائن الغربية، وفى جميع [٧٥] هذه المدن والبنادر كانت تقام له معدات الأفراح، وتهيأ رسوم الزينة على أشكال جميلة، وتنصب الحراقات النارية، والألعاب العجيبة فى كثير من الأنحاء، وكانت المشاهد غاصة بالطبول والمزامير، وجماعة المغنيين، والمغنيات وكان الأهالى على تباين درجاتهم يتسابقون إلى التغالى فى زخرفة دورهم، وتزيين محالهم بالأضواء، وأنواع الفرش والطنافس حتى إن من كان منهم معسرًا أو على إملاق يتداين بالرباء القادح على رهن عقار زوجته، أو متاع بيته حتى لا يسقط من عداد ذوى الاعتبار.

---

(١) يتقدمهم.

(٢) طنطا.

(٣) يقصد شبين الكوم عاصمة المنوفية.

ولما أن وصل إلى طنتدا قام الرئيس مصطفى رياض باشا ومعه أعضاء لجنة التصفية المتقدمين الذكر فى قطار مخصوص للسلام عليه، فاتخذ لهم مأدبة فاخرة، وبعد العشاء من تلك الليلة رجع الجميع إلى مصر المحروسة.

وفى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين منه، عاد الخديو إلى مقره بمصر المحروسة بعد تغيبه خمسة وعشرين يومًا، فازدحمت على أبوابه الشعراء على عادتهم، وقدمت له قصائد التهانى ومنها تهنئة الشيخ محمد النجار أحد مدرسى الأزهر والمكاتب الأهلية وهى:

[٧٦] حمدت المسرى فى البدء والعود أحمد ... ومالى إلا محض ودى مقصد
ومدح الرعايا فيك يا خير من سما ... عليهم من المفروض والحال يشهد
أأنكر[١] ضوء الشمس حال طلوعها ... وأجحد أضواها[٢] وأنا أرمد
وأبغى من الأيام نكد عيشها ... وعيشى ولله المحامد أرغد
وأمسك سهمًا عوجته يد الهوى ... وسهمى لأغراض النفوس مسدد
وأطلب حربًا من زمان سالم ... وللحرب منحوس وللسلم مسعد
على أن لى فى الحرب أسد طالع ... له الراية الخضراء به النصر يعقد
وأطلب يوما من عدو صداقته ... ومن نكد الدنيا على الحر أنكد
وما أنا ممن عنده وصل ساعة ... يقربها والحال من بعد أنكد
فيا راضعًا أرضع الهوى وهو مالح ... سبتك حسان فى الخدور وخرد
فما أنا من تحوى هواه خريدة ... فيفضح الجفن الجريح المسهد
ويحمر فى خديه ما هو أبيض ... ويبيض من فوديه ما هو أسود
سألبس للأيام ثوب جلادة ... وما الخطب خطب عند من يتجلد
رجال ميامين كرام زهت بهم ... عريا من معاليهم وبالفخر جدد

---

(١) صحتها أتنكر.
(٢) صحتها أضواءها.

وأعظم بأعلام الهدى ونجومه وأكرم بمن هم للخلافة مسند [٧٧]
وأنعم بعيش لا يطار مريده وأحسن بقطر قد تولاه سيد
وبدر ولكن أفق مصر سعود فلا زال فى أفق السعادة يصعد
وكشف جلباب الجهالة عن سنا بدور بأفكار حسان تفردوا
لقد جاء مصر اليوم وهى تريده وسهل وعر الملك وهو ممهد
ومن حسن أفكار له طاف أرضها لينظروها بالعين والعين تنقد
فللّه أيام لقد زينت به مصابيحها من نوره تتوقد
ولله سيار ولله عودة ولله أرض حلها فهى معبد
فياكعبة المعروف بل كعبة الندا ويامن هو السهم الكريم الممجد
ويا سيدًا للعدل أضحى مسيدًا ومن هو بالتوفيق أهدى وأرشد
لقد غبت ولكن لم تغب عن فؤادنا وللبدر فى أوج الكمال تردد
/ولله يومًا عدت فيه وساعة بمقدمك السامى وأنت المؤيد [٧٨]
يناديك فيه السعد وهو مؤرخ لمقدم توفيق سرور يجدد

وفيه أيضا وقعت حادثة فى الإسكندرية من قبيل حوادث القرون المتوسطة التى كثيرًا ما كانت تقع بين إسرائيلى[١] تلك القرون ومسيحيه[٢] ذلك أنه وجدت يوم عيد فصح اليهود جثث[٣] غلام يونانى على سطح كنيس اليهود الكبرى بالإسكندرية، فذهب آل ذلك الغلام ووالده إلى أن اليهود خطفوه، وأخذوا دمه لاستعماله فى مراسيمهم الدينية، وأزاعوا[٤] هذا الخبر بين اليونان المقيمين هناك، فالتهبت نيران غيظهم وتجمهروا جماهير مسلحة فى الأنحاء والمواقع الساكنة بها اليهود، وأبوا سماع حقيقة الأسباب التى أوجبت موت الغلام، وطافوا بالأزقة والطرقات ينادون

---

(١) يقصد إسرائيلى.
(٢) يقصد مسيحيه.
(٣) صحتها جثة.
(٤) صحتها أذاعوا.

بالويل والانتقام من طائفة اليهود، وتزاحموا حول كنيسهم يرمونه بالأحجار حتى كسروا النوافذ وهشموا الأبواب، وسرى هذا العمل إلى دور الأغنياء والفقراء من اليهود أيضًا، وأوسعوهم سبًّا وشتمًا وتهديدًا، فاضطرب اليهود وكمنوا فى بيوتهم، فتداخل موظفو الحكومة واجتهدوا فى
[٧٩] تسكين الفتنة/ بالتى، فلم ينجحوا لاستفحال أمر الثائرين والتهاب نيران غيظهم، واستمر الحال كذلك طول النهار، ومع كون قنصل اليونان هناك أفرغ جهده فى إقناع القوم، بأن موت ذلك الغلام ما كان إلا بأسباب سقوطه إلى سطح الكنيس، وكذا أيد لهم ذلك أحد أطبائهم فإنهم لم يقتنعوا، ولم يرتجعوا وأصروا على الأخذ بالثأر وقطع دابر اليهود.

وفى صباح اليوم الثانى ظهروا أيضًا حتى غصت بهم الطرق والحارات وهم ينادون الإيقاع بطائفة اليهود، وكانوا يشخصون[١] وجوه المرين[٢] وأبناء السبيل، لعلهم يعثرون على يهودى فيوقعون به، ويهدرون دمه جهارًا، فلم يعثروا على أحد، ولما وصلت الأخبار إلى مصر المحروسة ببيان ما تقدم، بعثت الحكومة الجند مشاةً وركبانًا يصحبهم ناظر ديوان عموم الجند، فكانوا يطوفون الليل والنهار وهم يفرقون تلك الجماهير بالتى، وضوعف عدد الجند الملازمين للقراقولات[٣] ومع هذا كله فقد كان يخشى من اشتداد نار الثورة، وبلوغها إلى حد الثوراة[٤] التى وقعت فى القرن الخامس بين الإسرائيليين والمسيحيين.

[٨٠] اعلم أنى لم أتعرض فيما نقلته من أخبار الرئيس مصطفى/ رياض باشا مذ عاد إلى خطة الرئاسة، إلى هذا التاريخ لذكر شىء من أحواله السخصية، أو أطواره أو نواياه نحو بنى نوعه، الذين باتوا فى قبضة يده

---

(١) يتفرسون.
(٢) صحتها المارين.
(٣) أقسام الشرطة.
(٤) صحتها الثورات.

يرمقونه بعين المخافة، وهو يرمقهم بعين الانتقاد، ويشيرون إليه بيد المذلة والخوف، وهو يختال فى ثياب العز والرئاسة # وما حملنى الآن على ذكر طرف منها إلا لزوم استيفاء الحوادث والأعمال التى وقعت على يديه، وإفادة االقارئ بغلمهم من حوادث كل شهر بحيث يكون على علم بمنشأ الحادثة إجمالا، إذا لم نقل تفصيلاً وما جرى فيها من الأعمال بالبيان، حتى لا يكون بحول الله تداول هذا المجموع بين المطالعين عبثًا # فأقول: إنه لما أن تولى الرئيس المشار إليه مسند الرئاسة وأحكم رباط المودة بينه وبين مراقبى الإنكليز والفرنسيين وقناصل الدول المحبة[1]، قيل: إنه كان لا يعبأ إلا بذاته ولا يحفل إلا بصفاته، فلم يقرب إليه إلا حاشية السوء، والملقين، الذين دأبهم الوسوسة وكشف عورات / الناس، وتعقب [٨١] الذلات[2] والأخذ بصغائر الأمور.. فلما اشتهر بهذا الوصف أمره، وعلم الناس أن له عيونًا ترصد الصغائر، فتعظمه لديه لازموا الانكماش وداخلهم الخوف، خصوصا حاشية الخديو إسماعيل وأعوانه ومن شملتهم نعمه، لما يعلمونه من انحراف الرئيس وإعراضه عنهم وتعقب هفواتهم جزاء ما فعله به مخدومهم كما مر بيانه فى محله # قيل: ولم يكن هذا الخوف ليردعهم عن الاجتماع زمرًا ى دور بعضهم البعضض وخصوصًا فى دار أحدهم، وهو الفريق شاهين باشا كنج وزير الحربية قبلاً، أى على عهد الخديو إسماعيل[3] فلم يخف على الرئيس المشار إليه خافيتهم، بل ضيق عليهم، وشدد وأرهب، وبث العيون تترصدهم أينما ساروا، وحيثما صاروا، وتنقل لهم من أخبارهم أشكالاً فأضمر لهم السوء، وعمل على تبديد

---

(١) الصديقة.

(٢) صحتها الزلات.

(٣) كان مخلصا للخديو إسماعيل إلى حد أنه أرغم أعيان الوجه البحرى على الاعتراض على تنازل الخديو عن العرش.

شملهم، وقطع رباط اجتماعهم، فبعث إليهم من يتوعدهم بالشر وخص بذلك الفريق شاهين باشا كنج، حيث هيج عليه بعض مشايخ البلدان، التى بها مزارعة وإقطاعاته، وأرشدهم إلى طرق الوقيعة والاعتساف، فقدموا فيه الشكايا والمحاضر بأصناف التداعى إلى الرئيس المشار إليه، فجعلها سبيلاً للتنديد وعصاة للتهديد، وبالغ فيها حتى صار يتحدث بها فى مجالسه/ [٨٢] الديوانية، وبين ذويه والمتقربين إليه، واتصل الخوف بالفريق شاهين باشا إلى حد الاعتقاد بأنه سيؤخذ فى يوم ما أخذة مقتدر جبار.

والظُّلم مِنْ شِيَمِ النُّفوسِ فإنْ تَجِدْ ذا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ

قيل فلما كادت عزيمة الفريق المشار إليه تنصرم راسل الخديو إسماعيل سرًّا، وأعلمه بالخبر، وشاوره فيما يحسن به خلاصه من يد الرئيس وحبائله المنصوبة، فزين له الدخول تحت حماية دولة إيطاليا، ولم يتأخر فى أن سعى وعمل على إنجاز هذا الأمر، فلم تمض إلا أيام قلائل حتى أرسل إلى الفريق شاهين باشا الأوراق المؤذنة بتبعيته لتلك الدولة # فلما وردت إليه بادر هو أيضًا، فحصر أرزاقه، وضبطها، وأقام عليها وكلاً يباشر أمرها، ويبعث إليه برزقها، وعقد نيته على الرحيل إلى مدينة نابولى إحدى [٨٣] المدائن التابعة لدولة/ إيطاليا وهى مقر الخديو إسماعيل: ولما علم الرئيس بالخبر تململ، وأخذ يتدبر فى فساد حيلة الفريق شاهين باشا، فأرسل إلى المسيو دى مارتينو قنصل جنرال دولة إيطاليا، وتكلم معه طويلاً وراجعه فى الأمر فلم ينجح، فزين للخديو معاكسة القنصل والإصرار على عدم اعتبار أوراق دولة إيطاليا ففعل، ولكنه لم ينجح أيضًا حيث تجرد القنصل المشار إليه لمقاومة الخديو، والرئيس معًا، والذب عن شرف دولته، واعتبارها فضاق صدر الرئيس وزاد به التحرق ولكنه لم يجد للوصول إلى غايته سبيلاً.

وفى الخامس من رجب الفرد قيل: إن القنصل المشار إليه ذهب إلى دار الفريق شاهين باشا، ومعه بعض تبعة دولة إيطاليا، ولبث هناك قليلاً إلى أن جهز الفريق متاعه وركبوا فى عربة وذهبوا إلى محطة السكة الحديد، ومنها ركبوا قطار المساء إلى مدينة الإسكندرية قصد الذهاب إلى مدينة نابولى.

وفى صباح السادس منه عقد الرئيس مجلس النظار خلافًا للعادة وحرر أمرًا خديويًا صورته:

من بعد الاطلاع على القانون الصادر فى السادس من شوال سنة ١٢٨٥ بخصوص الرعية العثمانية، ومن حيث أنه مدون بالبند الخامس من هذا القانون أنه إذا دخل أحد الرعايا / العثمانية فى تبعية دولة أجنبية من [٨٤] غير استحصاله على إذن من الدولة العلية، يعتبر دخوله هذا لاغيًا كأن لم يكن، وتجب معاملته فى كل الأمور بصفة كونه من رعايا الدولة العثمانية.. وحيث أن شاهين باشا الذى هو من رعايا الدولة العثمانية الحائز لرتبة الفريق، وسبق أنه تولى قيادة فرقة عسكرية مصرية، وكان سابقًا ناظر الحربية التمس وقبل دخوله فى تبعية دولة أجنبية بدون أن يعطى له أدنى إذن بذلك.. وحيث أن شاهين باشا مع كون دخوله فى تبعية دولة أجنبية يعد باطلاً قد ترآى[1] له عند سفره من القطر المصرى أنه يمكنه الاستغناء عن طلب باسبور[2] ولم تعترف الحكومة المصرية بأدنى حق له فيه فبعد الوقوف على ما أبداه مجلس نظارنا، قد أمرنا بتجريد شاهين باشا من جميع رتبه وألقابه وصفاته الرسمية مع محو اسمه من دفاتر ضباط الجيش المصرى، وهو ممنوع من الرجوع إلى الديار المصرية اهـ.

قيل: ثم أخذ هذا الأمر وتوجه به إلى مقر الخديو / وألح عليه بقبوله [٨٥

---

(١) صحتها ترامى.

(٢) جواز سفر.

والإقرار عليه، فلم يسع الخديو إلا الامتثال والقبول، فبعث به الرئيس من ساعته إلى الفريق شاهين باشا مع رسول مخصوص، وسلمه إليه وهو فى الباخرة المتوجه فيها إلى مدينة نابولى، قيل فأخذه وهو هادى اللب ساكن القلب، لم يعتره فزع ولا وجل، قلت حدثنى من أثق فى حديثه.

قال: كنت فى هذا اليم بالباخرة التى نزل بها الفريق شاهين باشا، وكنت مودعًا لخليل أغا كبير أغوات والدة الخديو إسماعيل، حيث كان متوجهًا أيضًا إلى مدينة نابولى فرارًا من إذاء[1] الرئيس مصطفى رياض باشا، فبينما نحن مهتمون بإصلاح ما معنا من متاع السفر، إذ طلع على ظهر الباخرة أحد مأمورى الحكومة، وعلامات الاضطراب تنطق من وجهه فسأل ربان المركب، أين يكون الفريق شاهين باشا؟ فقال هو فى هذا الجانب وأشار إليه فذهب المأمور نحوه، وقال للفريق ولم يسلم.. قد أمرنى دولة الرئيس أن أسلم ليدك هذا الأمر العالى فهاهو خذه، وتصفحه واعمل
[٨٦] بما فيه.. قال فتناوله وفضه، وأخذ يقرأ[2] وهو هادئ اللب ساكن القلب، وبعد قرائته[3] التفت إلى المأمور وقال: لا بأس عليك قد حسبنا هذا وغيره فى حسابنا، فقل للرئيس عافاه الله إنى عامل به حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولاً، ثم التفت إلينا، وهو يبتسم، وقال: أيم الله لو بغى جبل على جبل لدك الباغى، قال: فقلت أصلحك الله هل هى وصية يجب العمل بها، فقال ويجب أن تخلد فى بطون التواريخ، ليعلم كل من يطلع عليها كم تقاسى البلاد وأهلها من الجور والبلاء والضنك والعناء: قال فخفت أن أطيل الكلام معه بحضرة المأمور، وتشاغلت عن حديثه بإصلاح بعض متاع السفر حتى تركنا المأمور وانصرف، فنظرت إليه رجاء أن يعيد

---

(١) صحتها إيذاء.
(٢) صحتها يقرؤه.
(٣) صحتها قراءته.

الحديث معى، فلم يفعل، وكـأن لم يكن شيء به قط فتعجبت من هـذا السكون والثبات، وودعتهم، ونزلت وأنا فى خوف ما عليه من مزيد ظانًا أن قد وصل إلى الرئيس خبرى من ذلـك المأمـور، فرجعت إلى مصـر المحروسة ولازمت دارى أيامًا حتى سكن خاطرى، واطمـأن جاشى ولم يقدر الله على بمكروه !..

[٨٧] قد مر فى ذكر حوادث شهر ذى الحجة سنة ست وسبعين ومائتين وألف ما قالتـه جريـدة لاريفورم الإفـرنسية، من أنـه وقعت أسباب أوجبت الانقباض ما بين الخديو توفيق باشا وأبيه إسماعيل وعما عزم عليه الخديو من تشكيل لجنة للنظر فى شأن ما يتعلق بالمحال المدعى أبوه بملكيتها وقد وعدنا بذكر ما سيقع فى هذا الشأن، فوفاء بهذا الوعد أقول إنه #.

فى الثامن منه أى من رجب الفرد أصدر الخديو بإشارة الرئيس أمرًا يقول.. من حيث إنه تبين من حسابات نظارة المالية من الدفاتر الخاصة أن العقارات والسرايات وملحقاتها المبينة بهذا، صار بناء بعضها وشراء البعض الآخر بأموال الحكومة، وأنها لازمة للمصالح العمومية أو لإقامة خـديو مصر وأنها كانت لغاية الآن مخصصة لما ذكر، وحيث أن العقارات المذكورة لا يصح بناء على ذلك أن تكون ملكًا لأحد من الناس، وإن كـان قد تحررت بها حجج بأسماء بعض أعضاء عائلتنا، فبعد الوقوف على ما أبداه مجلس نظارنا نأمر: بأن جميع العقارات والسرايات وملحقاتها الآتى بيانها قد صار ملكًـا للحكومـة، وألحقت بالأمـلاك الأميريـة / المعدة للمنفعـة [٨٨] العمومية والعقارات المذكورة هى:

سراى عابدين مع ما يتبعها من الأبنية وغيرها، من جميع الملحقـات بمصر القاهرة # وسراى الإسماعيلية وملحقاتها وما يتبعها من أبنية بمصر القاهرة # وسراى القصر العالى وملحقاتها وما يتبعها من الأبنية بمصر

القاهرة، بخط الإسماعيلية وملحقاته المعروف بمخزن الموبيليات # ومطبعة بولاق وملحقاتها مع ما يتبعها من الآلات والمهمات بمصر القاهرة # وإسطبلات بولاق بمصر القاهرة وسراى الجزيرة معا[1] يتبعها من الأبنية، والجنينة البالغ مقدار ذلك اثنين وستين فدانًا وكسور والأراضى التى تتبعها، ومقدارها ثلاث آلاف وخمسمائة وخمسة وتسعين فدانًا وغيرها ومن جميع الملحقات الكائنة بالجيزة بمديرية الجيزة واللوقاندة والكشك والحمامات
[٨٩] وملحقاتها بمدينة حلوان # وجنينة النزهة الكبيرة المعروفة قديمًا بجنينة باستيريه الكائنة على ترعة المحمودية بالاسكندرية # وسراى الرمل وجميع ما يتبعها من الأبنية والقشلاقات والإصطبلات وغيرها من الملحقات الكائنة بالرمل بالقرب من مدينة الاسكندرية # وسراى دفينة وما يتبعها من الأبنية والأراضى والقشلاق وغير ذلك من الملحقات الكائنة بالمنصورة # وسراى المنيا ..

قيل: فبعد صدور هذا الأمر هاجت ذرية محمد على وماجت ونقموا على الخديو، واختصموه ولازموا مساكنهم أيامًا انقطع فيها حبل المودة التى كانت بينهم وبين والدته وآل بيته، ومن هذا الحين كثر بينهم التباغض والتشاحن، واشتدت الفتن، وعجت فى الرؤس[2] المحن فأخذ كل فريق يتعقب ذلات[3] الآخر، ويعمل على تذليله[4] وتنكيله بقدر ما تصل إليه قدرته حتى كاد أن يتسع الخرق ويتعذر إعادة الوفاق بين الطرفين.

[٩٠] وفى يوم السبت الثامن عشر منه: كان عيد جلوس الخديو /: تعطلت الدواوين والمصالح الميرية، وعملت فى صبيحته تشريفة بسراى عابدين فتقدم إلى الخديو أولاً الأمراء من ذرية محمد على، ثم العلماء، ثم الأشراف

---

(١) يقصد مع ما.
(٢) صحتها الرءوس.
(٣) صحتها زلات.
(٤) يقصد إذلاله.

وجميع النظار، قيل: فاقترب من مجلسه الرئيس مصطفى رياض باشا وهنأه بالعيد، الذى هو ثانى أعياده، واتفق أن ورد من دار الخلافة السلطانية خبر مفاده أن السلطان عبد الحميد، وجه رتبة المشيرية إلى الرئيس مصطفى رياض باشا، فأعلمه الخديو بذلك على مشهد ممن حضروا فى هذا اليوم من عائلة محمد على والعلماء والأشراف والنظار، ثم دخل ضباط الجند ثم تلامذة المدارس الحربية والملكية، ثم أرباب الرتب العالية ثم مديرو الأقاليم البحرية، والقبلية مع مشائخ البلدان ومشائخ وعمد العربان، ثم المفتشون والمأمورون الملكية، ثم الرؤساء الروحانيون ثم مأمورو الأراضى الميرية، وسكك الحديد، ومفتشو الدائرة السنية وأعضاء لجنة التصفية ومأمورو صندوق الدين العمومى، وأعضاء المحاكم المختلطة على اختلافهم، ثم قناصل الدول فقام أحدهم وهو المسيو دى مارتينو قنصل إيطاليا بما له من أقدمية على باقى القناصل[1]/ وتلا مقالة باللغة الإفرنسية [٩١] ونصها كما فى جريدة الوقائع الرسمية.

هيئة حضرات قناصل الدول المتحابة، يعدون أنفسهم من السعداء كى يقدموا إلى عالى مقامكم السامى تهنئاتكم بمناسبة عيد الجلوس الجارى إشهاره فى هذا اليوم بمصر، مع السرور، ويتمنون أن يصير استمرار عيد هذا اليوم مدة طويلة من السنين لسعادة القطر المصرى، وثروة أهله وهم معتمدون اعتمادًا أكيدًا من أن سمو دولتكم نتبعون الأمر الذى شرعتم فيه مع كثير من النجاح، وتستميلون على ذلك مودة الدول الأجنبية ومحبتهم لجنابكم* فقال الخديو إنى أتشكر لحضرتكم مزيد الشكر وإنى

---

(١) بمعنى أنه كان عميد السلك الدبلوماسى وقتذاك. وكان الممثلون الأجانب فى مصر لهم صفة سياسية بالرغم من تبعية مصر لاستنبول.

* واضح أن ما نشر الوقائع ترجمة ركيكة لخطاب المسيو دى مارتينو.

لأجد فيما أبديتموه من الكلام دليلًا جديدًا على الميل والمحبة التى ظهرت لى يوم جلوسى، وإنى لأجد كذلك على حسن أفكاركم التى هى عندى نفيسة جدًّا، وهى أكيد أمنيتكم لمستقبل بلادى، فالله سبحانه وتعالى يتكرم بإنجاز المساعى بحسن مساعدتكم، التى لا زالت معنا وأرجو المولى سبحانه وتعالى أن يقبل الأمانى التى أتمناها معكم/من صميم الفؤاد فى حق [٩٢] سعادة القطر المصرى وثروته اهـ.

قلت: وغصت رحبة عابدين فى هذا اليوم بأرباب الطرق والأشاير[١] يضربون الطبول، ويزمرون ويضجون بالتهليل، ويضربون الدفوف والكاسات ويمتدحون بألفاظ وألحان لا يعلمها إلا من تعود سماعها، وهى عادة لم نعهد حصولها من قبل فى مثل هذه المواسم والأعياد، وقد طاف أرباب هذه الأشاير الذين فى الأقاليم والمحافظات فى هذا اليوم أيضًا بجهاتهم وفعلوا[٢] كذلك أرباب الأشاير بمدينة الإسكندرية فقد قال صاحب جريدة المحروسة: إنهم اجتمعوا فى هذا اليوم ومروا بأشايرهم إلى أن وصلوا ديوان المحافظة، وقدموا الدعوات للخديو، ثم انصرفوا، قال: واحتفلت مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية لهذا العيد أيضًا، وفى وقت العصر مر مائة وخمسون تلميذًا منهم، وطافوا ببعض أنحاء المدينة إظهارا للمسرة حتى إذا وافوا الضبطية[٣] أجروا مراسم التعظيم، ثم وقفوا أمام المحافظة وتلا أحدهم قصيدة يمدح بها الخديو، فقوبل بالألحان من إخوانه وبعد أن نادوا بأصواتهم يعيش الخديو ثلاثا، عادوا إلى مدرستهم/والناس [٩٣] خلفهم فى غاية الازدحام.

وفى يوم السبت تاسع شعبان فى نحو الساعة الثالثة من صبيحته توجه إلى سراى رأس التين بالإسكندرية، أعضاء لجنة التصفية قصد تقديم

---

(١) رجال الطرق الصوفية.
(٢) صحتها وفعل.
(٣) الحكمدارية ، مديرية الأمن.

قانون أعمالها للخديو، فاستقبلهم ذو الفقار باشا التشريفاتى الأول وأجلسهم برهة من الزمن، ثم دعاهم الخديو فدخلوا وكان جالسًا معه وقتئذ الرئيس مصطفى رياض باشا، وبقية النظار ورجال ديوان الخديو الخاص والياوران، فتقدم المسيو ريفرس ويلسون رئيس اللجنة وأدى مراسم التحية وتبعه بقية الأعضاء، وأبدا[1] للخديو عبارة تتضمن أن أعمال اللجنة تمت على الوجه السديد والطريق القويم المفيد، ثم قدم له قانون أحكامها فقبله الخديو وأجاب الرئيس المومى إليه بعبارة تدل على امتنانه من هذه الأعمال الجليلة، وبعد ذلك جلسوا جميعا وقدمت لهم القهوة فشربوها، ثم قام الخديو وقدم للمسيو ويلسون المشار إليه النشان المجيدى من الطبقة الأولى بيده فاستلمه، وبعد ذلك أعطى النشان العثمانى من الطبقة الثالثة لكل من المسيو كولفن، والمسيو براويللى والمسيو دى بوغاز، والمسيو تريكو / والمسيو ديجره، والمسيو دى رول وبطرس باشا غالى # [٩٤] كذلك النشان المجيدى من الطبقة الرابعة لكل من المسيو برونير، والمسيو موريز، والمسيو كارتيكل كاتب يد المسيو ويلسون وبعد أن صرفت أعضاء اللجنة قدم الخديو للرئيس مصطفى رياض باشا النشان العثمانى من الطبقة الأولى، والنشان المجيدى من الطبقة الأولى للمسيو دى بلنيار المراقب الفرنسوى، وفى ذلك الوقت وجهت رتبة روم إيلى بكلربيكى لكل من على مبارك باشا، وحسين فخرى باشا، وعلى إبراهيم باشا ورتبة الفريق لمحمود باشا سامى المعروف بالبارودى، وقدم النشان المجيدى من الطبقة الأولى، لكل من مصطفى فهمى باشا ناظر الخارجية وعثمان رفقى باشا ناظر ديوان الجند، والنشان المجيدى من الطبقة الثانية لكل من حسين فخرى باشا، وعلى إبراهيم باشا، ومحمود باشا البارودى، والنشان المجيدى من الطبقة الثالثة لميخائيل كحيل بك، وانصرفوا جميعا.

---

(١) صحتها وابدى.

وعند الغروب استدعى الخديو للطعام النظار، وأعضاء لجنة التصفية بسراى رأس التين، وكانت مزدانة من داخلها وخارجها بفوانيس الشمع
[٩٥] والغاز، وفى منتصف الساعة الأولى من الليل حضر المدعون[1] جميعًا فدعوا إلى الطعام، وكانت الموسيقات تترنم، وبعد الفراغ من الطعام قيل: إنه وردت من سائر جهات الحكومة رسائل التهانى للخديو من عمد البلاد، وتجارها، والقضاة، والعلماء، والمعتبرين، والوجوه، والمأمورين وفى أوائل الساعة الثالثة من تلك الليلة، حضر إلى رحبة السراى كثير من الجند المشاة المقيمين بالإسكندرية مع ضباطهم ومسيقاتهم[2] رافعين بأيديهم فوانيس الزجاج الملون، موقودة بالشموع وساروا إلى أن وصلوا واجهة السراى المشرفة على تلك الرحبة، حيث كان الخديو وسائر النظار وأعضاء اللجنة ينتظرونهم، فاصطفوا هناك وبعد أن لبثوا هنيهة، نادوا جميعًا بصوت مرتفع يعيش الخديو وكرروها ثلاثًا ثم ساروا بهذه الهيئة، وعبروا شوارع البلد حتى انتهوا إلى ميدان المنشية فوقفوا هناك برهة، وهرع الناس يتقاطرون إلى الميدان حتى غصت بهم الشوارع، وفى أواخر الساعة الثالثة، اجتمعت أرباب الطوائف والطرق والأشاير، تتقدمهم المشاعل والطبول والمزامير والبيارق وفوانيس الشمع، وساروا إلى أن دخلوا السراى فرقا
[٩٦] فرقًا فى عدد كثير، وكان كل[3] فريق منهم / نظام مخصوص، وهم يضجون بالأصوات المرتفعة ثم ورد من بعدهم تلامذة المدرسة الخيرية، وفى أيديهم مصابيح الشمع تتقدمهم معلموهم وعند وصولهم إلى مقر الخديو، صاروا يترنمون بالأبيات الشعرية المتضمنة الثناء والشكر للخديو، وبعد أن تكامل الزائرون على الصورة المتقدمة، انتخبوا منهم سبعة أشخاص ليقدموا

---

(١) صحتها حضر المدعوون.
(٢) صحتها موسيقاتهم.
(٣) صحتها ولكل.

مراسم التهانى للخديو، قيل: فقابلهم ولاطفهم ثم انصرفوا جميعا.

وفى ذلك الوقت كان ساحل البحر مزدانًا بالأنوار، وكذلك البواخر الراسية فى المينا وواجهات المعامل والورش، وقد سار عدد من القوارب تحمل الجماهير من الناس، وكانت مزدانة بالأنوار والقناديل، وفى بعضها الطبول والمغنيين والمغنيات، فانتهوا إلى مقر الخديو وهم يغنون ويعزفون ويضربون طبولهم إلى أن كانت الساعة السادسة من تلك الليلة، فأطلقت شلنكات البارود والحراريق والألعاب النارية، أمام السراى، ومن باخرة الخديو الخصوصية، وباخرتى مصر ومحمد على، واستمرت كذلك إلى أن مضت الساعة السابعة من الليل، أما أرباب الزوارق فقد استمروا على
ما وصفنا إلى قبيل الفجر فازدحم كثير/ من المتفرجين من الأهلين [٩٧]
والأجانب نساء ورجالاً وأطفالاً فى هذا المشهد الحافل، وقد تلا المسيو ويلسون أمام الخديو مقالة هذا نصها كما فى جريدة الوقائع المصرية:

نرجو من مقامكم السامى أن تسمحوا لى بأن أقدم لدولتكم الخديوية لائحة القانون، الذى كلفنا بتحضيره طبقًا للأمر المؤرخ فى الحادى والثلاثين من شهر مارس سنة ١٨٨٠، وإنى أبدى باسم لجنة التصفية ما نتمناه من أن تسوية حالة مالية مصر هذه تحقق الغرض الذى شرعتم فيه بالاتفاق مع الدول الفخيمة، عند تشكيل هذه اللجنة، وقد كانت مأموريتنا مشوبة بالصعوبة إلا أننا قد ألهمنا فيها الرغبة الصادقة فى التوفيق بين المنافع المتعددة المتكونة منها، بدون مراعاة الخواطر مطلقًا هذا ولم ننس أن ثروة مصر هى أقوى تأمين لمداينيها، ولذا لم نتوقف مطلقًا أن نجعل أول تكليف على إيرادات الحكومة المبالغ الضرورية اللازمة لسير مصالحها الإدارية بقدر المبالغ التى رأت فيها حكومة دولتكم الكفاية، ومع
ذلك فقد أمكنا أن نقلل بطريقة محسوسة جانبًا من الخسائر التى/ كان [٩٨]

يخشى من أنها تفرض على المداينين، وأن نقدم تأمينات أكيدة لتأدية الديون بكيفية منتظمة، وأن تتخذ تدبيرات قوية لاستهلاك تلك الديـون، ونعد أنفسنا من السعداء حيث اشتركنا فى هذا الأمر الذى يكون له موقـع عظيم، فى تاريخ مصر، وحيث أن حضرتكم الخديوية ومستشاروها مجبولون على حب الوطن، واحترام التعهدات والمواثيق ومتنورون بتجارب الماضى، فلنا ثقة ثابتة بأن تبقوا مالية مصـر واعتبارهـا فى حالـة تحفظ لدولتكم الخديوية، امتنان أهالى القطر المصرى ومحبة الملل[1] الأجنبية وميلها إليكم.

فأجابه الخديوى قائلًا، إنه باستلامى من جنابكم لائحة القانون الذى حضرتم لتقديمه لى، أريد قبل كل شىء أن أشكر للجنة ما أجرتـه من الاعتناء والدقة فى شأن هذا الأمر المهم.. نعم كانت المأمورية التى أحيلت على هذه اللجنة صعبة، وهى بالحقيقة صعبة جدًّا، حيث أنه كان الغرض منها تسوية منافع مختلطة ومتعددة على التوفيق بينهـا، ونظرًا لحـالة تلك الصعوبات ولشأن تلك المنافع، قد قبلت حكومتى/مساعدتكم واثقة من أن حضراتكم اتباعًا لأفكار حكـوماتكم الصـائبة عـلى الدوام ونـظرًا إلى معرفتكم بالحالة الراهنة، ورغبتكم الصادقة لإجابة كافة الاحتياجات على قدر الاستطاعة، تبذلون همكم فى وجود طريقة أكيدة لأن نصل جميعًا إلى الغرض المقصود، وإنى مستوثق من أننا نتحصل عليه بواسطة أعمالكم، التى اتممتموها الآن بدون مراعاة خواطر، وأوقعنا التصديق عليها بتمامها، فالذى يجب علينا من الآن فصاعدًا هو إنجاز تلك الأعمال وتأكيد ثمراتها ونتائجها، ونؤكد لحضراتكم أننا نقوم بهذا الواجب مع الاستقامة والصداقة كما قمتم بما وجب عليكم، حيث أن أحوالنا ومسلكنا هو الميل إلى حب

[٩٩]

(١) الطوائف.

الوطن ومراعات[1] التعهدات والمواثيق على الدوام، والاستمرار، فكونوا متيقنين من ذلك، ونرجوا من حضراتكم أن تعتقدوا أن خدمتكم هذه العالية التى أديتموها إلى قطرنا يكون لها تذكرة حسنة عندنا، كما أن امتناننا الحقيقى لحكوماتهم التى أظهرت فى هذه الحالة ميلها الأكيد لنا، كما أظهرته فى كافة الأحوال الصعبة، / التى سبقت الإشارة إلى تشكيلها تحت [١٠٠] رياسة محمود باشا البارودى، وافتتح جلساتها بخطاب ألقاه، بسط فيه الغاية المطلوبة من تشكيل هذه اللجنة قبل وبعد ذلك جرت المفاوضة، فتقرر أن تشكل لجنتان الأولى تؤلف من لارمى باشا، وجولد سميت، وبلوتز باشا، ومرعشلى باشا، ومحمد رضاء باشا، وراشد حسنى باشا، وخالد باشا، وأحمد بك عرابى وفرحات بك، وحسن بك مظهر ويرأسها الجنرال أستون باشا[2]، واللجنة الثانية أعضاؤها بقية أعضاء اللجنة الأولى. ويرأسها أفلاطون باشا ومن اختصاصات الأولى، النظر فى ترتيب تنظيم الجيش، والثانية تنقيح القوانين العسكرية، وإدخال النظامات اللازمة، وسن قانون للترقيات العسكرية، قيل: ومتى أتمت كلا[3] منها ما عليها ترفع قراراتها إلى هيئة اللجنة العمومية، فكانت هذه اللجنة وأعمالها سببًا فى استفحال أمر الجند، ورسوخ قدم زعمائهم كما سيأتى بيانه فى محله إن شاء الله.

وفى السادس منه رجع الخديو من سياحته بجهات الإسماعيلية، والسويس وبورسعيد، إلى مدينة الإسكندرية بقصد / اللبث ووردت [١٠١] الأخبار إلى مصر المحروسة تشير إلى ما حصل من الزينة، وليالى الأفراح

---

(١) صحتها مراعاة

(٢) الكولونل استون Stone ضابط أمريكى التحق بالجيش المصرى ورأس هيئة الأركان فيه عام ١٨٧٠ وغادر مصر بعد الاحتلال عام ١٨٨٢.

(٣) صحتها كل.

بالجهات الثلاثة المذكورة عند وصول الخديو لها.

وفيه أيضًا شاع أن المسيو دلسبس هذا قدم للخديو ومجلس النظار طلبًا بحفر ترعة توصل ثغر دمياط بمدينة بورسعيد، ترويجًا لفوائد التجارة ولازدياد العمران بالمدينة المذكورة، فترتب على هذه الإشاعة أن هبطت أسعار الأملاك بمدينة الإسكندرية، وخاضت أصحاب الجرائد العربية والأجنبية فى الكلام عنها ما بين مستقبح منها ومستحسن، قيل وأصبح هذا الطلب موضع بحث هيئة النظار، فطال فى شأنه الجدال، ووقع النقار[1] وترتب عليه حصول النفرة بين الرئيس مصطفى رياض باشا وبين المسيو
[١٠٢] دى بلنيار المراقب على أن الرئيس كان يعمل على فساد هذا الطلب، ويصرح بأنه لا يلائم مصلحة البلاد الداخلية والخارجية، والمراقب يسعى خلف إخفاق مساعى الرئيس ويعضد طلب المسيو دى لسبس بقدر ما فى وسعه.

فلما استفحل بينهما الشقاق وانفصمت عرى الوفاق، وباتا على طرفى نقيض اتخذ كل منهما أعوانًا وأنصارًا، يؤيدون حجته، ويحامون عن حقوق خطته ويبعثون بالرسائل المطولة فى هذا الشأن إلى الجرائد العربية والأفرنجية، حتى تفاقم الخطب واشتد الكرب، وانعقد مجلس النظار مرارًا تحت رئاسة الخديو للمفاوضة، وبسط الجدال فى هذا الطلب قلت: واتجهت أفكارالسواد الأعظم من الناس إلى هذا الأمر، وبات كل يتوقع إما سقوط هيئة النظارة وفوز المراقب، وأما سقوطه وتغلب الرئيس على أعوانه وأنصاره، وكان أهل الدراية بالأمور يقولون: إن لم يبق على الرئيس إلا قطع هذه العقبة أيضًا فإن قطعها سالمًا فلا خوف عليه وإلا فليس لكسره من جابر، وكتب صاحب جريدة الأهرام فى هذا الشأن يقول: قد لغط

---

(١) النزاع.

العالم كثيرًا فى هذا الموضوع، ونشرت الجرائد عنه عبارات ولدها الظن/ [١٠٣] والتخمين ثم توقف الجميع على الجزم بالآراء إلى صدور جواب الحكومة بعد التئام حضرات النظار الكرام، تحت رئاسة الجناب العالى فالآن نبسط لحضرات القراء ما وقفنا عليه من أحكام هذه المسألة: أى نعم إن حضرات النظار تداولوا فى التئام الجمعة والسبت من الأسبوع الفائت تحت رئاسة سمو الخديوى فى هذه المسألة، ولكن كان اعتبار المداولة مبدئا[1] إذ لم يعرض هذا الموضوع رسميًّا على مجلس النظار، فإن الأوراق المتعلقة به ما زالت فى أبواب الترجمة، ولم يسلم منه شىء لحضرات النظار الذين لا يتقدمون إلى الحكم فى أمر إلا بعد درسه وتفحصه من جميع أبوابه ولكنهم قد كلفوا نظارة الأشغال أن تفحص مسألة الترعة بتمام الدقة ثم ترفع إلى هيئة المجلس ملاحظاتها وإفاداتها هذا ما علمناه من أحكام الالتئام.

قال: وعلمنا من جهة أخرى أن حضرة المسيو دى لسبس، قد كلف المهندس المسيو بابونو، أن يرى فى التسهيلات الابتدائية مما يتعلق بهذه الترعة، ووضع تحت إمرته المبلغ اللازم لذلك وقدره مايتان[2] ألف فرنك. ومن هذا/ الإجراء يستدل على أن المسيو المذكور يشتغل فى مسألة، هو ثقة [١٠٤] من نوال حقوقه فيها، على حين نرى من تردد الحكومة ما يناقض ذلك: قال والخلاصة أن الخوض فى هذه المسألة لا يتأتى بفائدة عامة، فعلينا أن نترك لرجال حكومتنا حلها على الوجه الذى يكفل حفظ الصالح العام اهـ.

وقال أهل السياسة المحنكون: إن هذه المسألة لم تبلغ من الجسامة والأهمية إلى حد التباغض والتشاحن، بين رجلين كالرئيس والمراقب، غير أنه لما كان الرئيس لايميل إلا للتفرد بالأعمال، ويكره أن يرى يدا فوق

(١) صحتها مبدءا. (٢) صحتها مائتا.

يده، أو يسمع كلمة فوق كلمته، ولم ينس ما تكبده من مزاحمة البارون دى رنج، عندما كان متوليا خطة القنصلية، التى لم يتخلص منها إلا بشق الأنفس فحذرًا من تغلب المراقب عليه وإرغامه على عمل ما يكره أوصل هذه المسألة إلى ما أوصلها من العنت، وبالغ فى مضارها، ودس إلى محررى الجرائد أن بالغوا فى الأمر وهولوا: وهكذا كان المراقب فإنه لما رأى
[١٠٥] معاكسة الرئيس ومراوغته، وقد كان/ المراقب المذكور أوعد المسيو دى لسبس وعدًا صادقًا بإنجاز مطلوبه، على حين كان يرى أن الرئيس لم يخرج عن قبضة يده لما له من الحقوق عليه، والحظوة لديه، لم يحجم عن المعاكسة هو أيضًا بل شدد وبالغ فى التهديد حتى كان من أمرهما ما مرّ بيانه، قلت واتفق أن عزم المراقب المذكور على السفر إلى بلاده كعادته فى كل عام، فتولدت عن هذا العزم الظنون واتجهت إلى المرمى البعيد، فمن قائل إنه ذاهب وهو على عزم السعى فى بلاده خلف الإضرار بالرئيس، ومن قائل إنه ذاهب للاستنجاد برئيس جمهور الفرنسيس[1] على إرغام الحكومة المصرية بقضاء حاجة المسيو دى لسبس، وهؤلاء هم أنصار المراقب من أبناء جلدته والناحون نحوهم.

أما أعوان الرئيس والمتزلفون إليه، فقد كانوا يبالغون فى خيبة مسعى المراقب، ويجزمون بإحباط عمله، ويقولون: إنه ما قصد التغيب فى بلاده إلا هربًا من الفضيحة والعار اللذين لحقاه بأسباب ضعضعة سطوته وعدم قدرته على مباراة الرئيس، وغير ذلك من ضروب الحدس والتخمين حتى
[١٠٦] ضل السامع عن سواء الطريق. /ولم يدر أى الروايتين يعيرها جانب التصديق.

وفى مساء الأحد السادس عشر منه، قام المسيو دى بلينار المذكور هو

---

(١) رئيس الجمهورية الفرنسية.

وزوجته من القاهرة إلى الاسكندرية قصد الذهاب إلى بلاده كما تقدم.

وفى صباح الاثنين السابع عشر منه، قام إلى مدينة باريز قاعدة بلاد الفرنسيس، وسافر معه أيضًا المسيو دى لسبس صاحب الترعة[1] وابنته فكان سفر المراقب، والمسيو المذكور معًا باعثًا لإثارة القيل والقال وتوجيه سهام الظن إلى المرمى البعيد.

وفى الحادى والعشرين منه دخل مينا الإسكندرية باخرة إنكليزية من نوع الفرقاطة، اسمها إبريس تحت إمرة الأميرال سيمور، وهى قادمة من مدينة كورفوا[2] ونابولى، فلدى دخولها أطلقت المدافع للتسليم على البلد فردت عليها قلاع المدينة السلام بأن أطلقت مدافعها أيضًا.

وفيه أيضًا وردت الأخبار إلى القاهرة، بأن ضابط مدينة الإسكندرية اكتشف على الذين ارتكبوا خطة أعمال النقود الزائفة، التى قد كان تكاثر وجودها/ وتداولها فى الإسكندرية والأرياف وتحقق للضابط المشار إليه بعد [١٠٧] التجسس الطويل، أن فى مدينة سويسرة[3] معملًا تضرب فيه تلك النقود، فقبض على وكلائه الذين بالإسكندرية، وأودعهم فى السجن بعد ما أقروا بما ارتكبوا، وقبض أيضًا على اثنين من التبعة الطليانية، وعلى أحد التبعة الإنكليزية، وعلى ستة من الأروام وعلى بعض نساء وعلى رجل فرنسوى حيث ظهر أنه يبيع تلك النقود.

وفيه أيضًا زار وزير سلطان بلاد الزنجيبار الخديو فى سراى رأس التين بالإسكندرية، وقدم له جواب بخط السلطان مولاى السيد برغش وجملة هدايا فاخرة من محاصيل تلك البلاد: قيل والمقصود من هذا الجواب توثيق العلاقات الودية بين مصر والزنجيبار كما كانت عليه قبلًا.

---

(١) يقصد قناة السويس.

(٢) يقصد جزيرة كورفو.

(٣) يقصد دولة سويسرا.

وفى الخامس والعشرين منه كان الاحتفال فى مدينة الإسكندرية بعيد مولد فيكتوريا ملكة الإنجليز[1] فرفعت أعلام الحكومة، ورايات الدول
[١٠٨] الأجنبية، وأطلقت الدراعة الإنجليزية المسماة إبريس/ التى سبق ذكر خبر حضورها مدافعها، واقتبل أميرها سيمور زيارة المهنئين، وزار محافظ الإسكندرية نائب قنصل جنرال الإنجليز بلباسه الرسمى، فرد له الزيارة كذلك أيضًا، قلت وقد طالعت فى بعض التقاويم الإنجليزية فرأيت أن هذه الملكة ولدت فى الرابع والعشرين من شهر مايو سنة تسعة عشر[2] وثمانمائة وألف مسيحية، فتكون فى هذا العام قد أتمت السنة الثانية والستين من العمر، وقد تولت الملك ولها من العمر ثمان عشرة سنة.

وفيه أيضًا شاع أن قد رفت من ضباط الجند الذين بمعسكر طره واحد وعشرون[3] ضابطًا، وكان سبب ذلك هو ماظهر من تآمرهم، ضد عبدالعال بك أميرهم كما سبق البيان فى حوادث ذلك الوقت: قيل وقد كان شكل لذلك مجلس لتفحص ما أتاه هؤلاء من الدسائس والفتن والإفساد، فكان لهذه الإشاعة دهشة وحيرة عند من ينظرون إلى عمل العصابة بعين القلى[4].

وفى الثلاثين منه أصدر الخديو أمرًا بأن تربط عشور النخيل باعتبار
[١٠٩] قرشين ونصف، على كل نخلة فى جميع جهات/ القطر المصرى ماعدا جهات الواحات، وقسم حلفه التابع لمديرية أسوان، حيث يكون عشور النخيل فيها قرشًا ونصفًا على كل نخلة من جميع النخل الحامل للثمر، أو الطلع فيشمل ذلك الذكر منها والأنثى، ويدخل ضمن ذلك النخيل المغروسة فى أراضى الأوقاف الخيرية، وأن لاتعفى من العشور إلا النخيل

(١) ملكة بريطانيا (١٨٣٧-١٩٠١) تم فى عهدها الاحتلال البريطانى لمصر.
(٢) صحتها تسع عشرة.
(٣) صحتها وعشرون.
(٤) بعين البغض.

المغروسة فى حيشان وجناين بيوت السكن التى تدفع عليها عوائد الأملاك، وأن ربط جميع هذه العشور لا يكون إلا من بعد تعداد جميع النخيل التى بالقطر.

وفى غرة رجب شاعت الأخبار بمصر المحروسة، بأن قد استقر رأى رئيس جمهور الفرنسيس بتعيين المسيو بلنيار، المراقب بوظيفة مفتش مالية بلاد تونس الغرب، فكان لهذه الإشاعة الوقع الحسن عن الرئيس مصطفى رياض باشا، والساعين خلف إساءة المراقب المذكور، ولكن لم تلبث أن كذبتها بعض الجرائد، وأنذرت أولئك الشامتين بقرب عودته إلى خطته بمصر، وأن لاشىء هناك يزعزع قدمه، أويضعضع نفوذه، وفى التاسع منه أقامت والدة الخديو مأدبة بسراى رأس التين بالإسكندرية دعت إليها أعيان المدينة/ وعلماها[1] وبعض مشايخ الطرق وكثيرين غيرهم احتفالاً [١١٠] بعيد الخديو فكانت ليلة مشهودة.

وفيه وجدوا بمدينة الإسكندرية صنمًا من الحجر المصرى القديم، عندما كانوا يحفرون بعض الأراضى الواقعة على مقربة من محطة سكة الحديد وبالإطلاع على ما هو مرسوم عليه من الأحرف والنقوش الهيروغليفية أى القبطية القديمة، ظهر أنه تمثال هود وهو حبر، أو كاهن طوث الأكبر، وشاع أن ستحفر الأرض التى وجد هذا التمثال فيها، رجاء أن يعثر على آثار أخرى، ثم صدرت أوامر الحكومة بنقل التمثال المذكور إلى دار المتحف ببولاق بمصر المحروسة # وفيه أيضًا اتفق أن امرأة من أهالى مصر المحروسة ذهبت إلى النيل للاغتسال فيه كعادة العامة، ومعها طفلها مضى على ولادته أشهر، فوضعته على ضفة النيل بالقرب من جسر قصر النيل، ونزلت للاغتسال ثم عادت لتأخذه فوجدت ثعبانًا كبيرًا ملتفًا عليه، وهو

(١) الصحيح علماءها.

واضع لسانه على شفتى الطفل يلعقهما، فطار عقلها وطاش لبها وتمزق قلبها لهذا المنظر الهائل، ولكنها تقدمت إليه ببسالة وسرعة غريبتين، وقبضت على
[١١١] الثعبان ورمت به إلى الأرض، وضمت ولدها إلى صدرها، وهى تولول وإذا به سليم البنية لم يلحقه ضرر، فولت الأدبار وهى لاتكاد تصدق نجاته، وفيه أيضًا شاع أن الرئيس مصطفى رياض باشا على عزم الاستقالة من مسند الرئاسة رجاء التخلص من حبائل العاملين على إساءته، وكان الجند وكثير من الضباط يذيعون هذه الإشاعة ما بين السوقة، وأهل الصنائع: قلت ولم يكن لهذه الإشاعة على المشهور من موجب سوى تخلف الرئيس بداره يومين لعلة أصابته ولكن الضباط وزعماء العصابة، كانوا يكذبون ذلك ويتخذون تخلفه هذا ذريعة لدس الدسائس وإظهار ما لهم من السلطة والنفوذ، وفى مساء هذا اليوم أيضًا توجه إلى مدينة الإسكندرية الرئيس وجميع النظار ورجال الحكومة وأعيان مصر المحروسة وتجارها والقناصل والأمراء لتهنئة الخديو بعيد مولده كما هى العادة فى كل عام.

وفى العاشر منه صباحًا اطلقت المدافع من قلاع الإسكندرية والمراكب
[١١٢] الراسية بالمينا إيذانا بهذا العيد، فهرع/ المهنئون إلى مقر الخديو ووردت الأخبار بذلك إلى مصر المحروسة، فأطلقت المدافع من قلعة الجبل أيضًا فى الأوقات الثلاثة وبعث عمد البلاد القبلية والبحرية برسائل التهانى إلى الخديو بالإسكندرية.

وفى الحادى عشر منه قدم قنصل قيصرية[1] النمسا والمجر خطابًا إلى الخديو محررًا بقلم القيصر: قيل: إنه يحتوى على عبارات المودة ودلائل المحبة، ولم تصل إلينا معرفة ماحواه من العبارات خلاف ماذكر.

وفى الثانى عشر منه روت بعض الجرائد المحلية ماوصل إليها. على

(١) نسبة إلى قيصر ألمانيا برطور.

ما قالت من أخبار مدينة باريز تخت[1] بلاد الفرنسيس ما يفيد أن المسيو دى بلينار المراقب لقى من رجال حكومة الفرنسيس عند وصوله إكرامًا عظيمًا جدًّا، وأن المسيو برتلمى نيتهلار وزير الخارجية شكره شكرًا جميلًا على المنهج الذى اتخذه فى سياسته فى الديار المصرية: قالوا: وقال له إن ذلك مما يؤيد الصلات الودية بين بلاد فرنسا والإنجليز بما لها من المصالح المشتركة فى تلك الديار قالت: وكان الكثير بما لها من المصالح المشتركة فى تلك الديار قالت: وكان الكثير من نواب الفرنسيس يظهرون للمراقب المومى إليه أنهم مشاركون/ لوزير الخارجية فى آرائه وأمياله نحو المراقب، [١١٣] قالوا وقد تحقق المسيو دى بلنيار أن الحكومة الإفرنسية فى شاغل عن توجيه أنظارها لمصر بما عندها من الاهتمام لإصلاح داخليتها فكان لهذه الرواية عند أنصار الرئيس أثر مؤلم جدًّا.

وفى الثالث عشر منه كثرت الإشاعة بأن قد وقع الخلاف بين أعضاء اللجنة العسكرية التى سبق الكلام عن تشكيلها فى حوادث ذلك الوقت وتناقل هذه الإشاعة أصحاب بعض الجرائد المحلية وأصبحت موضوع حديث الضباط فى محافلهم الليلية، وفى دار ندوتهم، ووضعوها من الأهمية فى قالب ارتجت منه القلوب، حتى تخيل للناس أن ما بقى دون حل هذا الإشكال إلا تجريد السيوف، ولم تصل هذه الإشاعة إلى هذا الحد من المبالغة والتهويل إلا لكون هذا الخلاف كان وقوعه مابين أحمد عرابى بك كبير العصابة، وبين أحد أعضاء اللجنة، وهو المسيو جولدسميت على المشهور قلت: حدثنى من أعتمده قال: لم يكن لهذه الحادثة فى مراتب الأهمية موضعًا وأنها ليست إلا مجادلة لابد منها فى خلال المداولة/بخصوص [١١٤] ترقية المراتب العسكرية، على أن أحمد عرابى بك قدم للجنة رأيًا مؤداه أن

---

(١) أى عاصمة فرنسا.

يكون تعين[1] هذه المراتب بالاعتبار لا بالأقدمية، وأن يعطى هذا الحق لقائد كل فرق ليوزعها على فرقته بمصادقة ديوان الجند: قال: فناقضه العضو الآخر مناقضة لم تخرج عن الموضوع، وقدم الأدلة والبراهين على تأييد دعواها، فعارضه أحمد عرابى بك وتجافى فى الرد عليه وزيف جولدسميت المذكور تزيفًا دعى[2] بعض الأعضاء إلى المداخلة وتسكين خاطر الفريقين فانحسم الخلاف بالتى، وأمسى وكأنه لم يكن ا.هـ.

وفى الخامس عشر منه كان ختان نجلى الخديو، وهما: الأمير عباس بك بكر أولاده، والأمير محمد على بك، وكان ذلك بسراى رأس التين بمدينة الإسكندرية، قيل وكان يومًا مشهودًا وزعت فيه الجوائز، وقدمت الهدايا من العائلة الخديوية إلى الأميرين المذكورين. وصدر أمر الخديو بإطلاق ثلاثمائة مسجون من ليمان الإسكندرية من الذين بقى على مدتهم عام ولم
[١١٥] يكونوا من القاتلين أوالمتهمين بالقتل: قيل وكانت رحبة/ سراى رأس التين غاصة بالمتفرجين على اختلاف أجناسهم.

وفيه أيضا قدم من الحبشة إلى مصر المحروسة عن طريق مدينة السويس وفد مؤلف من اثنين وسبعين نفرًا، وقد كانوا خرجوا من تحت حكم الحبشة فى العاشر من جمادى الأول سنة ١٢٩٨ يحملون خطابين من الملك يوحنا ملك ملوك الحبشة، أحدهما برسم الخديو والآخر لبطرك طائفة الأقباط الامبا كيرولص الثالث مؤرخين فى الثامن والعشرين من برمهات القبطى سنة ١٥٩٧، الموافق خمسة جمادى الأولى سنة ١٢٩٨ ومنهم واحد وستون من الخدم والحشم والأتباع. قيل: ولم يذكر فى خطاب الملك إلا أسماء خمسة سفراء أربعة منهم قسوس، وواحد وزير، وهو موظف بوظيفة وكيل مطران كنيستهم هناك، وستة من الموظفين، ونزلوا جميعًا بدار

---

(١) يقصد تعيين.

(٢) صحتها دعا.

بطريقية الأقباط بمصر المحروسة، وبعد أن لبثوا أيامًا قدموا لكيرولص البطرك المشار إليه الهدايا التى بعث بها ملكهم وهى تاج من الذهب مرصع بالأحجار الكريمة مستدير الشكل يبلغ ارتفاعه نحو الاثنين وثلاثين سنتى وثلاثة صلبان من الفضة البيضاء وآخر من الذهب الخالص وألبسوا / [١١٦] البطرك التاج المرسوم فى أبهة وزينة عظيمتين وهنأه الوفد وجميع معتبرى الطائفة القبطية.

وفى السادس عشر منه اقتبل الرئيس مصطفى رياض زيارة سبعة من الوفد المذكور، ومعهم ترجمانهم، ووكيل دار البطريقية، ولم يقع بينهم من المحادثة السياسية ما كان يظن وقوعه لاسيما وقد كان اتيان هذا الوفد على حين كانت الحكومة فى حاجة زائدة لحضوره منعًا لتهديد الجيوش الحبشية حدود الديار المصرية التى على سواحل البحر الأحمر[١].

وفى الثانى والعشرين منه وردت الأخبار إلى مصر المحروسة، تفيد أن الملك كلاكوا الأول ملك جزاير هواى: وهى فى الإقيانوس الباسيفيكى واقعة بين شطوط اليابون[٢] وأمريكا، وعددها خمسة عشرة[٣] جزيرة خمس منها آهلة بالسكان: سيصل إلى مدينة بورسعيد ويقيم مدة فى القطر المصرى ثم يتوجه للسياحة بالديار الأفرنجية وأمريكا وأن فى عزمه أن يدور حول الكرة الأرضية قبل العودة إلى بلاده: قيل: وقصده من هذه السياحة تحصيل ما يمكنه من تحسين حال بلاده، وترفعها إلى مراتب التمدن. فأصدر الخديو أمره إلى محافظ/ مدينة السويس بأن يتلقى هذا [١١٧] الملك بما يليق من الإكرام والترحاب.

---

(١) معلوم أن مصر قبل ذلك بسنوات قليلة كانت قد خاضت مع الحبشة حربًا استمرت لنحو عامين ١٨٧٥-١٨٧٦ انتهت بعقد الصلح مع الملك يوحنا، واحتفظت مصر بأملاكها القريبة منها (مصوع وهرر).

(٢) اليابان. (٣) صحتها خمس عشرة.

وفى الرابع والعشرين منه فى نحو الساعة السادسة نهارًا وصل الملك المشار إليه إلى القاهرة آتيًا، عن طريق مدينة السويس واستقبل بما لاق به وأنزل مع حاشيته وبطانته فى قصر النزهة بضواحى مصر المحروسة.

وفيه أيضًا وردت الأخبار من مديرية إسنا بصعيد مصر تفيد أنه فى صباح الخميس الماضى حدث فيها زلزال خفيف أعقبه اشتداد الحرارة وهبوب ريح شديد جدًّا بقيت إلى المساء فانزعج أهل البلد انزعاجًا عظيمًا ولكن لم يصبهم أدنى ضرر.

وفى الخامس والعشرين منه نشرت جريدة الوقائع المصرية أمرًا صادرًا من الخديوى فى الرابع من الشهر يتعلق برسم التمغة على المصوغات الفضية، والاوزان والمقاييس وجملة ما فيه، أنه يؤخذ على الأشياء التى عيارها تسعون فى المائة ثمان بارات عن كل درهم وعلى التى عيارها ثمانون فى المائة سبع بارات، ويؤخذ على / تمغة الوزنة التى لاتتجاوز نصف [١١٨] الرطل عشر بارات، وعلى التى زنتها أقة واحدة إلى عشرة أرطال عشرون بارة وكل وزنة زادت عن عشرة أرطال يؤخذ عليها عن كل رطل خمس بارات، ويؤخذ على تمغ حجم تجاوز القدح عشر بارات، وعلى تمغ كل مقياس مهما كان طوله عشرون بارة، وفيه أيضًا رجع المسيو دى بلنيار المراقب الفرنسوى إلى الإسكندرية، وفى حال وصوله توجه إلى سراى رأس التين فلقيه الخديو هناك قيل: وحادثه ساعة وبعد ذلك انصرف ونزل بالنزل المعروف بنزل أسات بالإسكندرية: وفى ظهر هذا اليوم تناول الطعام عند المسيو سناديتو، أحد أعيان الإفرنج، فكان الخبر وصوله دهشة عند أعوان الرئيس وأنصاره، وباتوا وهم يقلبون صفحات الحدس والتخمين بما سيكون من نتائج عودته بعد أن كانت لا تخطر لأحد على بال.

وفى مساء السابع والعشرين منه احتفل الخديو فى سراى رأس التين بالإسكندرية بليلة بالو[1] أى ليلة يرقص فيها المدعوون من نساء ورجال/ على عادة الإفرنج: فحضر فيها الملك كلاكوا والوفد الحبشى، [١١٩] حيث كان توجه إلى الإسكندرية. وأنزل فى دار هناك ملاصقة لسراى رأس التين، وكان فى تلك الليلة أيضًا كثير من الأعيان ورجال الحكومة، الذين قدموا من القاهرة والأرياف: قيل: وكانت ليلة مشهودة زينت فيها السراى والرحبة التى أمامها بكثير من الشموع. وعملت الحراريق والألعاب النارية بحرًا وبرًّا.

وفى الثامن والعشرين منه دعا الرئيس مصطفى رياض باشا المسيو دى بلنيار المراقب. وكاتب سره المسيو دى رول إلى تناول غذاء الظهر عنده فلبا[2] دعوته، وكان ذلك غاية التعجب عند من يعرفون ما بين الرئيس والمراقب من الحزازات، وما فى قلب كل منهما من الضغائن، ولكنهم مع ذلك ألبسا هذه المأدبة ثوب المواربة التى لابد لرجال السياسة من استعمالها فى مثل هذه الأحوال، وفيه أيضًا سافر الملك كلاكوا ملك جزائر هواى، فأطلقت المدافع إيذانًا بوداعه. وتوجه إلى/ إيطاليا ومعه وزيره المسمى [١٢٠] أرمسترونج، وآخر يسمى الكولونيل جود، ولعله من رجال الحرب.

ومن غرائب الاتفاق أن ظهر فى هذا الشهر نجم من ذوات الأذناب، وكان يرى فى كل ليلة بشكل واضح، حتى لضعيف البصر فهال الناس ظهوره، وتشاءموا لرؤيته، وأخذوا يتأولون ظهوره إلى تآويل ورموز شتى، ويستدلون منه على أن هذه السنة أى سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف لاتتم دون وقوع أمور عظيمة وحوادث مدلهمة، وحروب هائلة، بل نسبوا إليه جميع الوقائع والحوادث، التى مر بيانها فى هذه السنة، ولم يقتصروا على

(١) بالو بمعنى حفل بالإيطالية. (٢) الصحيح فلبيا.

ماوقع منها بديار مصر فقط بل تطاولوا إلى حوادث ديار الإفرنج مثل زلازل كازابنشولا، وجزيرة صاقز، ومقتل قيصر الروس[1] وغير ذلك من الحوادث الأخرى، التى لامحل لذكرها هنا: ولذلك تحدث أصحاب بعض الجرائد فى شأن هذا النجم، وكيفية ظهوره، وقال بعض أصحاب الجرائد
[١٢١] الإفرنجية: إنه يظن أن هذا النجم ليس إلا ذات النجم الذى/ نشر عنه المعلم الفلكى المسمى بيل، وقال: إنه ظهر فى سنة ست وسبعمائة وألف ميلادية وشاهده فى سنة سبع وثمانمائة وألف ثانية، واستدل أنه سيعود بعد أربع وسبعين سنة من هذا التاريخ، قالت: وقد ولد المنجم المذكور فى مدينة مندن من أعمال البروسيا، سنة ثمان وأربعين وثمانمائة وألف وأخذ علم الفلك عن أوليرس ودُعِى أستاذًا لمدرسة كينجسبرغ سنة ١٨١٠، وأقام فيها مرصدًا يشهد له بالفضل، وله عدة اكتشافات فلكية، قلت وذكرت جريدة ليجبت الرسمية الإفرنسية نقلًا عن جريدة، اسمها باريز ما لابأس بإيراده هنا تتميمًا للفائدة، قالت: إن أحد المنجمين الأقدمين تنبأ بأن العالم ينقرض نهائيًا فى الرابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة وألف ميلادية، يعنى فى الثانى من محرم الحرام سنة تسع وتسعين ومائتين وألف قالت: وتستمر الأهوال من هذا التاريخ إلى الثامن
[١٢٢] من شهر ديسمبر، يعنى السابع عشر / من محرم أى مدة خمسة عشر يومًا، يأتى كل يوم منها بمصيبة عظيمة، وإن النوع البشرى لابد أن ينقرض فى اليوم السادس من ديسمبر، الذى هو يوم عيد القديس نيقولاس المشهور بالعجائبى، بعد أن يشاهد كثيرًا من هذه النوازل الطامة، التى من جملتها تلاشى الأسماك، واضمحلالها فى اليوم السادس والعشرين من نوفمبر، يعنى فى الرابع من محرم الحرام وإن الدينونة الأخيرة أى يوم البعث

(١) يقصد القيصر إسكندر الثانى وسوف يأتى ذكر مقتله بالتفصيل فيما بعد، وقد اغتيل فى ١٣ مارس عام ١٨٨١.

والنشور، يكون فى ثامن ديسمبر، وإن هذه الدينونة لاتستغرق إلا هذا اليوم. قال المتنبى المذكور، ثم يعود بعدها كل إلى وظائفه العادية ا. هـ.

قلت: ومع ضعف إسناد هذا النبأ، وبُعْده عن الصحة، فإن إيراده فى بعض الجرائد كان داعيًا لزيادة اضطراب العامة، وبلبلة أفكارهم، بل شوش أيضًا أفكار أصحاب بعض العقول السليمة وكاد أن يذهب بما تعلموه من أحوال تلك الأجرام أدراج الرياح، وكان الكثير من أهالى مصر المحروسة يحيون الليالى الطوال، وهم يرصدون ذلك النجم فوق/ أسطحة [١٢٣] الدور والمساكن مولولين ونادمين على سوء حظ هذه البلاد وأهلها، كأنهم يطلعون على ما سطر فى أم الكتاب: ولم تكن هذه الولولة وذلك الندم من سكان مصر المحروسة فقط، بل ومن كافة أهالى الثغور والبنادر فضلًا عن القرى: فكتب مكاتب جريدة المحروسة بمدينة المنصورة إلى صاحبها بالإسكندرية يقول فى هذا الشأن: ما أكثر الخرافات والمخرفين عندنا فلا تمضى ساعة لانسمع من الناس من يقول: أن قد دنت الساعة وبعد شهرين تقوم القيامة، ومنهم من ترك شغله وأخذ يتأهب للرحيل إلى دار الخلود، ومن اقتصر على الصلاة فى المسجد لايباشر غيرها عملًا، ومنهم من باع حلى امرأته ليشترى بثمنه مدفنًا، قال وأعجب من ذلك كله أن البنائين فى المدافن تركوا الشغل استعدادًا منهم لقرب دنو الأجل وبعض الناس يطبلون فى منازلهم ضاربين ناقرين بعض أوان نحاسية صارخين يا لطيف، وإذا سألهم إنسان عن ذلك قالوا الناس تتحدث به، وهذا نجم الذنب ظاهر للعيان، وفوق ذلك فإن/ بعض الجرائد قد روت الخبر وأوعزت بقرب [١٢٤] الساعة، وانقراض العالم قبل حلول العام الجديد، قال فلله من الجهل وآفاته قوم مخرفون التوى عليهم معنى ما جاء فى الجرائد، واعتقدوا صحه التخريف، فلاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ا. هـ.

وفى التاسع والعشرين منه كان عيد جلوس الخديو فعملت تشريفه هذ

العيد بسراى رأس التين بمدينة الإسكندرية، فعند شروق شمس هذا اليوم أطلقت المدافع من القلاع والسفن الراسية بالمينا، وزينت جميع تلك السفن بالبيارق والأعلام. وفى أول الساعة الثانية عشرة من صباح هذا اليوم، وفد الجند بزينتهم وسلاحهم على رحبة السراى واصطفوا تجاه مقر الخديو، وهم يضربون أبواقهم وطبولهم، ولما أقبل الخديو قادمًا من مجلسه دخل مقره، وجلس فى غرفة هناك قريبة من تلك الرحبة، وفى أثناء الساعة الثالثة وفدت جموع المهنئين، فكان أول من دخل على الخديو فى مقره الشيخ
[١٢٥] العباسى شيخ الجامع الأزهر، ومفتى ديار مصر، وقاضى مصر المحروسة، وقاضى الإسكندرية، وكثير من العلماء والمتعممين الأشراف ثم دخل الأمراء من عائلة محمد على باشا الكبير، ثم النظار يقدمهم[1] الرئيس ثم رجال الحكومة، وأرباب الرتب، ثم غيرهم ممن جرت العادة بدخولهم فى مثل هذه الاحتفالات قلت: وفى هذا اليوم وردت الأخبار إلى مصر المحروسة من البنادر والثغور تشير إلى ماوقع فيها من الاحتفال بهذا العيد، وتراكمت قصائد التهانى على ديوان الخديو الخاص وامتدحه الشيخ محمد البسيونى خوجة أنجاله[2] بهذه القصيدة.

مباسم ثغر التهانى بواسم ... فأيامها أعيادنا والمواسم
سرور وأفراح وبشر وبهجة ... وراح وأقداح وصفو مداوم
تهانى بتوفيق العزيز سموها ... لها من سمير المكرمات منادم
وناهيك شمس العز فى ظل حضرة ... خديوية تعنوا إليها الضراغم
مليك على عرش الكمال قد استوى ... بمصر فأضحى روضها وهو باسم
فهانيك أوقات الصفا بجلوسه ... بأعلى سرير الملك والسعد خادم
تحيى مواسم كل عام تشكرًا ... إلى الله ماتشدو بروض حمائم

(١) يقصد يتقدمهم.
(٢) معلم أنجاله.

فاحياؤها فرض لمصر لندرك تداركها مما به الله عالم
فأطلق منها الوجه والوجه عابس/وخضر منها العيش والعيش قاتم [١٢٦]
ورونق منها مايروقك منظرًا وجدد منها ما محاه التقادم
وشيد سنى العدل من بعد ما وهى وزلزل منه السور والدعائم
وأعلى منار الدين والزهد والتقى وما لرضا الله فيه معالم
ولم يرض إلامنهج الشرع منهجًا فما حكمه إلا بما الله حاكم
بماضى أحكام لايضارع أمره وعامل رفع وهو لاشك جازم
وخلق يحاكيه النسيم إذا سرى على زهر روض باكرته الغمائم
وكم أنعشتنا من تهانيه فرصة وكم شملتنا من جداه المكارم
فلازال فى أوج الكمالات راقيًا وأنجاله العز الكرام الأكارم
ولازلت ياسعد السعود مؤرخا بجلسة توفيق يدوم مواسم

وقد وقع فى هذا العام أيضًا من تطواف أرباب الطرق والمشايخ والمتعممين وأصحاب العكاكيز ببيارقهم، وطبولهم ما وقع فى عيد جلوس سنة سبع وتسعين ومائتين وألف فلم يتركوا زقاقًا ولاشارعًا إلا وطافوه وهم على هذا الحال حتى قريب الظهر ثم انصرفوا وتفرق جمعهم.

وقد استهل شهر شعبان من هذه السنة واللغط يزداد/ بين الجند وأهل البلاد [١٢٧] على اختلاف درجاتهم، وهم على يقين من وشك انصرام حزمة النظار وهبوط عرشهم، وسقوط الرئيس مصطفى رياض سقوطًا لاجبر لكسره، ومعما[1] كانت تذيعه الجرائد المحلية من أسباب الأمن والطمأنينة، واتحاد كلمة النظار، ورسوخ قدم الرئيس فى منصبه، وعدم حدوث مايكدر صفو الراحة العمومية، وإدارة الأشغال على محور الاستقامة، وأكمل النظام، وسكون خواطر الجند، وملازمة ضباطهم حدود الاعتدال والسكينة، فإن سكان

(١) الصحيح مع ما.

مصر المحروسة كانوا فى خوف وفزع عظيمين، وهم منذرون بوقوع ما لاتحمد عواقبه، وكان هذا اللغط ينتشر بين أهل البنادر والثغور انتشارًا سريعًا جدًّا، ولم تكن لتوقفه قط أسباب الاحتياط التى قد تحتم على مديرى البلاد ومأموريها اتخاذها فى هذا الحين، ولم يكن هذا اللغط ناشئًا فقط عن رؤية ذى الذنب فى أفق البلاد، وتشاؤم أهلها من ظهوره كما كان
[١٢٨] يظن بل هو فى الحقيقة ونفس الأمر ناشىء من سعى الجند بين الأهالى،/فى نشر مقاصد زعمائهم، التى قد وطنوا أنفسهم على تنفيذها فى يوم ما، وكانوا يلقونها بين الناس بصور وأشكال مختلفة على قدر عقول العامة، وهؤلاء كانوا يخلطونها بالأكاذيب والتخريف، ويمزجونها بالمنامات والأحلام وفعل الأجرام السماوية، ويطبقونها على مايستعملونه من نطق التخوت الرملية، وخواتم الزايرجات ورموز الودع وهوس أرباب الشعوذة ويذيعونها بين أمثالهم حسب تفاوت أهوائهم، وتباين مشاربهم، غير مبالين بما ينجم عن ذلك من المضار، ومايترتب عليه من كساد تجارة البلاد، وتعطيل صنائعها مع ماهى فيه من البوار، ووقوع الرعب فى قلوب أصحاب الأموال، الذين يقصدون البلاد بأموالهم للاتجار فى محاصيلها، وهكذا كان دأب أولئك القوم حتى عم الخوف البلاد، وتزايد اضطراب أهلها وتشاؤمهم إلى أن كانت النتيجة ما سيأتى ذكره فى محله إن شاء الله.

وفى الثانى منه عاد إلى القاهرة الوفد الحبشى، بعد أن لبث فى مدينة
[١٢٩] الإسكندرية أيامًا وقبل / عودته زار الخديو فى مقره، وكان يرافقه كيرولص بطرك الطائفة القبطية، فأنعم عليه الخديو بالنشان المجيدى من الرتبة المعروفة بغران أوفسيه، وعلى أسقف القاهرة بنشان من رتبة أوفسيه، وعلى كاتب سر البطرك المشار إليه بنشان أيضًا من رتبة شفاليه، وعلى كل من رجال الوفد المذكور بسلسلة وساعة من الذهب قلت وهذه أول مرة أهديت فيها بطارقة هذه الطائفة وأساقفتها نياشين الاعتبار من قبل

الحكومة منذ دخل مصر عمرو بن العاص إلى عهد الخديو توفيق الحالى، فعدت له من المزايا التى لم يسبقه إليها أحد ممن تولى ملك هذه البلاد.

وفى الخامس منه ورد خبر إلى القاهرة من مدينة بلبيس إحدى مدن الشرقية يفيد أن امرأة هناك متزوجة بأحد الجند ولدت ذكرين اثنين وثلاث بنات، وأنها مع أولادها الخمسة فى صحة/ تامة، فكان لظهور هذا الخبر وقع [١٣٠] عجيب خصوصًا عند من كانوا يتطيرون من ظهور ذى الذنب ويترقبون وقوع ما لم يسبق له وقوع فى الأجيال الغابرة.

وصل لعلم القارئ ما كان من موت السلطان عبد العزيز فى اليوم – من شهر – سنة أربع وتسعين ومائتين وألف هجرية* وما كان من إقامة السلطان مراد ابن السلطان عبد المجيد على تخت السلطنة العثمانية[١]، وما كان من تنزيل السلطان مراد المومى إليه عن التخت بعد وسمه بالجنون، وضعف العزيمة، وما وقع أيضا عند تولية أخيه لأبيه السلطان عبد الحميد فى اليوم – من شهر –** سنة أربعة وتسعين ومائتين وألف[٢]، لكن لما كان لموت السلطان عبد العزيز أسباب ودواع استترت عن الناس تحت أستار الكتمان، والمواربات السياسية حينا من الدهر، ثم ظهر فى هذا الوقت سرها والباعث إليها وأصبحت موضوعًا للبحث والتنقيب وطالت فيها المناظرات، وترامت فيها التهم والشبهات وانبثت من أجلها العيون والجواسيس، تنقل من تفاصيلها ما لا يسعنا/ إلا إجماله فى هذا الكتاب [١٣١]

---

* واضح أنه لدى وضعه للكتاب لم يكن متحققًا من التاريخ الصحيح ولذا ترك فراغات حتى يتم هذا التحقق والتاريخ الصحيح لتولية مراد ٧ جمادى الأول ١٢٩٣ (١٨٧٦م).

(١) عاصمة الدولة العثمانية.

** نفس الفراغات مرة أخرى، والتاريخ الصحيح لتولية عبد الحميد الثانى ١١ شعبان ١٢٩٣ (١٨٧٦م).

(٢) صحتها سنة أربع وتسعين ومائتين وألف.

سيما وأن تاريخ قتل السلطان المذكور كان قبل ألسنة التى بدىء فيها هذا المختصر، والمدة التى تتبعها: على أن الخطة التى لازمها لا تسمح إلا بالتعرض لحوادث الوطن: إلا ما كان من باب الاستطراد والإشارة لمناسبة كمقابلة الخديو إسماعيل لغاليباردى[1] زعيم الحرية فى بلاد إيطاليا، أو للموعظة والتذكير كمقتل القيصر إسكندر الثانى قيصر الروس، فإن قال قائل: وهل فى رواية مقتل السلطان عبد العزيز شىء من هذين النوعين. قلت. نعم، ولقد جمعت بينهما بل إنها ستطلعك على ضروب شتى من دهاء رجال السياسة، وأعمالهم لم تخطر لك على بال فضلاً عن أنها ستكون لديك ميزانًا، تزن به خفيف المكائد وثقيلها، ومثالاً تضربه عندما تتلى على مسامعك حوادث سنة تسع وتسعين ومائتين وألف، وما وقع فيها من أخبار الحرب بين أحمد عرابى زعيم العصابة ودولة الإنكليز الحاكمة
[١٣٢] على خير الشرق وشره، وشقائه ونعيمه، ويسره / وعسره، وعماره ودماره، وهى هى المطاعة فى كلها[2] أشارت، وصاحبة الفوز أينما سارت، والغار أينما غارت، فلله هى ولله دينارها الذى طالما عرك الأنفوف[3] ودق الأعناق ولق العيون[4] ونسف الحصون، وكم به سيوف ومضت، ورماح شرعت، وأحزاب تجمعت، وأملاك سلبت، وممالك خربت، وملوك عزلت فهى أحرص الحكومات على ما فيه مصلحتها، وأشدها تيقظًا لما فيه توطيد دعائم عزتها، وهى التى تقهر الملوك برجالهم لا رجالها، وتسل عروشهم بأبطالهم لا بأبطالها، اللهم بدرهمها ودينارها، يدلك على ذلك ما ورد فى كثير من التواريخ القديمة والحديثة، عن أعمالها مع الكثير من ملوك

---

(١) يوسف غاريبلدى داعية الوحدة الإيطالية المشهور (١٨٠٧ - ١٨٨٢).

(٢) يقصد كل ما.

(٣) الصحيح الأنوف.

(٤) تعنى ضرب العيون بالأيدى.

المشرق والمغرب، بل وفى القارات المتوحشة كقارة أفريقيا وسحاريها[1] وهكذا ما برحت تختلس الشهرة اختلاسًا، وتقتبس السيط[2] اقتباسًا، وتستزيد ذاتها بنقص الغير، وتنسج خيرها بنقض الخير حتى يتم لها ما تم لغيرها من جيرانها، والذين نحوا هذا النحو من قبلها فلذلك رمتها/ أكثر [١٣٣] الجرائد التركية، والروسية بالخيانة، ووسمتها بالخداع واتهمتها بأنها هى التى عملت على قتل السلطان عبد العزيز بأن ساعدت قومه، وجرأتهم على الإقدام على هذا الفعل الشنيع، وضمنت لهم الخلاص من تبعته، عندما رأت من تزلف قيصر روسيا إليه، وتزلفه هو أيضًا للقيصر ما أدهشها وأربكها، وكاد أن يذهب بنفوذها فى أواسط آسيا الصغرى، وسلطانها فى أملاكها الهندية أدراج الرياح، يدل على ذلك ما قالته بعض الجرائد التى كانت تنتصر لسياسة هذه الدولة فى دار السلطنة العثمانية، من أنه قد استكشف بعد موت السلطان عبد العزيز على معاهدات سرية، كان عقدها السلطان مع سفير القيصر قصد كبح جماح مطامع دولة الإنكليز المنشبة أظفارها فى داخلية بلاد الدولة ورد جماح سياستها، والتخلص من حبائلها: قالت: وهذه كانت من بعض الأسباب التى حملت دولة الإنكليز على الاشتراك فى ذلك العمل الذميم، وكان بعيد ذلك أن الروس/ أثارت [١٣٤] الحرب على بلاد الدولة بعد قتل السلطان عبد العزيز، وزحفت عليها بخيلها ورجلها فمزقت الكثير من ولاياتها، وأخرجتها من قبضة يدها تشفيًا وانتقامًا، فاستغاثت وليس لها من مغيث، واستنجدت فلم تجد من ينجدها، حتى احتلت جيوش الروس ضواحى الآستانة، وعسكرت بأفنيتها، وما بقى إلا إطلاق القنابر على دار السلطنة واحتلالها إن طوعا وإن كرها، كل هذا ودولة الإنكليز تعد الدولة العثمانية بالمواعيد المزوقة،

(١) يقصد صحاريها.

(٢) يقصد الصيت.

وتراوغها بزخرف القول، وتعللها بالأمانى الطويلة العريضة، وتسمعها جعجعة من غير طحن حتى تسنى للروس محاصرة الآستانة وضواحيها، وكاد أن يضيق عليها الخناق لولا ما وقع بين السلطان عبد الحميد وبين أغناتيف سفير قيصر الروس من المهادنة وعقد شروط بين الدولتين سميت بمعاهدة .. أيا اسطافانوس[1] قلت: فلما قرع دوى هذه المعاهدة آذان الإنكليز هاجوا وماجوا ونقموا على حكومتهم، ورموها بسوء الإدارة، [١٣٥] ووهن القوة واندفعت جرائدهم/ على اختلاف مشاربها تنادى بالحرب العوان، وتقبح مسالك القابضين على زمام الأمور وتحض الشعب الإنكليزى على معارضة رجال السياسة، وإرغامهم على التعرض لتلك المعاهدة، وفسخ شروطها بما تصل إليه طاقتهم وتمكنت الحدة من قلوب الشعب فطافوا، وهم يضجون بشوارع لندن عاصمة بلادهم، وينادون بالويل والثبور على غلادستون[2]، كبير حزب الأحرار حيث مانع الحكومة من التداخل فى الأمر، ومن نجدة الدولة العثمانية، عندما ضاق عليها الخناق، وتطاولوا إلى رجم داره بالأحجار وسبه، وتوعدوه بالقتل وإراقة دمه أينما عثروا عليه. فلم تر الحكومة العاملة يومئذ وهى حكومة المحافظين بدًّا من إحاطة داره بالجند، ورجال الشرطة لتفريق تلك الجموع، وقطع دابر هاته الفتنة، بالتى، ثم بادرت بأن بعثت أسطولها الحربى إلى بغاز الدردنيل، فألقى مرساه تحت دار الخلافة، وفتحت باب المخابرات بينها [١٣٦] وبين دولة الروس، والسلطان عبد الحميد، واندفع سفيرها فى دار/ السلطنة إذ ذاك وهو السير أليوت يعمل على حل عقدة تلك المعاهدة، وفسخ شروطها، واستعمل من الدهاء والحيل ما أعجز الروس عن أن يجنوا ثمرة

---

(١) معاهدة سان ستفانو.

(٢) وليم إيوارت جلادستون (١٨٠٩ - ١٨٩٨) زعيم حزب الأحرار ورئيس وزراء بريطانيا ثلاث مرات (١٨٦٨ - ١٨٧٤)، (١٨٨٠ - ١٨٨٥)، (١٨٩٢ - ١٨٩٤).

أتعابهم، أو أن يذوقو لذة ظفرهم وأصبحوا وهم تائهون فى لجج المخابرات والمناقشات والاستشارات، حتى أعيتهم الحيل وأثقلهم نفقات الجند المحاصرون[1] لدار السلطنة، بل وقعوا فى الحبال إذ عرفوا أن السلطان عمد إلى محالفة الإنكليز سرًّا على استمرار الحرب مع الروس حتى يتسنى إخراجهم من بلاد الدولة.

ولم يكن هذا التحالف بالأمر الخفى، فإنه بينما كانت المخابرات قائمة بين الدول كافة على ساق وقدم بخصوص فسخ شروط معاهدة إيا اسطافانوس كانت الإنكليز تجيش الجيوش من أملاكها الهندية، وتأتى بهم ألوفًا ألوفًا إلى جزيرة قبرص إحدى جزر الدولة العثمانية، وتعدهم بالمعدات وآلات الحرب، وتسرع فى تجهيزهم، وكانت جرائدهم على كثرتها تتسارع فى نقل هذه الأخبار، وتملأ صفحاتها من الغلو والمبالغة والتهويل، حتى كان يتخيل للمطلع عليها/ أن قد قامت الساعة، ونصب الميزان ومد [١٢٧] الصراط ومع هذا كله فقد كانت بعض الدول تقدم على معاونة الإنكليز تارة وتحجم أخرى، وطورا تباريها فى عملها، وآونة تلازم الحيادة والانكماش وهى فى ذلك لم يغتر همتها فتور ولا ملل ولا تراخ ولا كسل، بل تثبتت فى هذا الموقف، ولازمت الدفاع ملازمة المجتهدين، حتى تسنى لها ضم الدول العظمى إلى جانبها ولم تلبث أن سقتهم نفس الكأس التى شربتها، فحينذاك اتحدوا جميعًا على المبدأ والختام، وقاموا يطالبون الروس بعقد مؤتمر دولى جديد بمدينة برلين عاصمة بلاد الألمان، يكون لكل منهم فيه نائب أو نائبان يبحثون فى شروط معاهدة إيا اسطفانوس، فلم يسع دولة الروس يومئذ إلا الإذعان والقبول رغمًا عن انتصارها، وإحاطة جندها بدار الخلافة إحاطة السوار بالمعصم، وقد كان ما كان من إلغاء تلك

(١) صحتها المحاصرين.

المعاهدة، وفسخ الكثير من شروطها، واستبدلت بأخرى سميت بمعاهدة برلين الدولية، وكان من أهم شروطها انجلاء[1] جند الروس عن ضواحى
[١٣٨] دار السلطنة، / وانسحابهم بعد أيام معدودة، وأجل مسمى، وخروج الكثير من ولايات الدولة العثمانية عن تبعيتها، فبعضها استقلت تحكم نفسها بنفسها، وبعضها انضمت إلى رعاية بعض الدول، كدولة النمسا واليونان فضلاً عن تخريب بعض حصون وقلاع الدولة الواقعة بين أملاكها وأملاك الروس.

أما دولة الإنكليز عافاها الله، فإنها لم تكتف من هذه الغنيمة بالإياب، بل عاد سفيرها ومعه أحد مفاتيح البحر المتوسط، وهو جزيرة قبرص التى قد كانت اتخذتها مقرًا لجيوشها الهندية، ومعسكرًا تحشدهم فيه للإرهاب والتخويف كما مر بيان ذلك.

فعادت الدولة يعيد*.

والمسجد الحسينى لتقيم لوازمها به، ثم ألبس الشيخ محمد السنباطى
[١٣٩] المشهور بالدعوجى: / خلعة الفرو والسمور، لمحمد بك حمدى مأمور الكسوة وفى الساعة الثالثة أطلقت المدافع من قلعة الجبل، فسار المحمل بالكسوة، وحوله الجند وأرباب الأشاير إلى أن وصل إلى المسجد الحسينى وفيه أيضا ورد خبر من ديوان الخديو الخاص بمدينة الإسكندرية إلى الرئيس مصطفى رياض باشا ونصه.

بمشيئة الله تعالى تشريف ولى النعم الجناب العالى الخديو إلى المحروسة، سيكون فى يوم الخميس الآتى حادى عشر شوال سنة ١٢٩٧ والقيام من

---

(١) بمعنى جلاء.

* فراغ فى أصل المخطوط يدل على أن الناسخ قد تركه لينقل عبارات من أصل المخطوط إلا أنه لم يفعل لسبب غير واضح.

محطة الإسكندرية سيكون الساعة الثانية عشرة صباحًا، والوصول إلى مصر يكون بعون البارى الساعة أربعة[1] من النهار، وسيشرف ولى النعم من المحطة إلى سراى الإسماعيلية.. قال.. أما رسوم المقابلة، فستكون إن شاء الله تعالى بسراى عابدين، الساعة ثمانية[2] من النهار، وبناء عليه لزم ترقيمه لدولتكم للإحاطة بما ذكر اتباعًا لما تعلقت به الإرادة السنية، وفيه أيضًا اتخذ رؤساء ديوان المالية مأدبة للرئيس مصطفى رياض باشا بالنزل المعروف باللوقاندة الجديدة / حضر فيها نحو أربعة[3] وسبعون نفسًا منهم [١٤٠] سائر النظار والمراقبان الإنكليزى والفرنسوى، وقوميسارية صندوق الدين العمومى، ووكلاء الداخلية، والمالية والجهادية، والمعارف وفى أثناء الطعام قام روجر بك من مأمورى ديوان المالية، وألقى مقالة باللغة العربية، وأخرى بلغة الفرنسيس، وبعد هنيهة قام عريان بك تادرس باشكاتب المالية، وتلا مقالة تناسب المقام، ثم قام بوريلى بك محامى الديوان المذكور، وألقى مقالة أيضًا بلغة الفرنسيس، ثم عقيب هذه المقالات، نزلت حمامة حية من عرش المكان على الرئيس مصطفى رياض باشا، وفى منقارها ورقة مكتوب فيها بعض كلمات، تفيد التهانى ببلوغ الأمانى، ثم صعدت من حيث أتت، وقد كان دبر كيفية إنزال هذه الحمامة صاحب النزل، حيث ربطها بخيط من السلك، وأنزلها كما ينزل المصباح المعلق، ثم رفعها بعد أن بلغت رسالتها، وكأنه كان يعدها من محسنات صنعته وتأنقه فى تلك الليلة، وبعد صعود تلك الحمامة قام الرئيس وألقى مقالة طنطن بذكرها الكثير من أصحاب الجرائد العربية وهى:

إننى عاجز عن أداء الشكر / لما تفضلتم به من إظهار المسرة التى بعثت [١٤١]

(١) صحتها الرابعة.
(٢) صحتها الثامنة.
(٣) صحتها أربع.

هذه الجمعية على الاجتماع، وهى منبعثة مما حصل عندها من الحسيات[1] الوطنية والإصلاحات التى ظهرت، ويشترك فى فوائدها كل وطنى وساكن هذه البلاد، فقبل كل شىء أقول لكم: إن كل هذه النتائج لا نقدر أن نعتبرها وننسبها إلا للخديوى الأعظم لأنه هو الروح للجسم والجسم بلا روح لا حركة ولا تأثير له، نعم إن كلا منا على حسب وظيفته وقوته يفخر بأنه أدى ما وجب عليه من الخدم، حتى باجتماعنا واتحادنا فى النية والعمل وصلنا إلى ما وصلنا إليه، وإنى وإن كنت متشكرًا مما أبديتموه لكنى أرى أنى لست المستحق وحدى هذا التشكر، فإن هذه النتائج أنما هى باتحاد مساعيكم وهمتكم، وإن ما بذلته من المساعى كان من الواجب علىّ وعلى كل وطنى وكل ساكن هذه البلاد يجب عليه أن يثنى على ما ظهر من الخدم، وتهنىء أنفسنا على وصولنا إلى هذه الدرجة، ومع ذلك لا أقدر أن أقول: إنها هى النتيجة النهائية، بل إننا بعد فى المبادئ وأمامنا عمل جسيم، أى مبانى جسيمة يلزم بناؤها فى هذه البلاد، فإذا قلتم ما هى هذه المبادئ، أجيبتكم/ إنها المبادئ المؤسسة على العدل التى يمكنها أن تصادم صدمات [١٤٢] الزمان، والحوادث، ويستمر بقاؤها على ممر الزمان، ومثل هذه المبانى التى تستمر مقاومة لهذه الحوادث وتحملها، يلزم أن تكون مبنية على أساس متين، وهذه أعمال جسيمة لا ينكرها أحد إلا باتحاد القلوب، والتئامها، ومحو ما يشين المروّة[2] من البغضاء والحسد، وفى أداء المنافع العمومية لا الأغراض والمطامع النفسانية، فإذا اتحدت قلوبنا وسلكنا مسلكًا واحدًا، وهو إصلاح الحال واستقامة الأحوال، فلابد أن نصل إلى المقصود بأن تؤسس هذه البلاد هيكل العدل والأمان والرفاهية والطمأنينة، ومع أننا فى مبادئ الأمور إلا أن آثارها سطعت فى البلاد، وهذا مما يشجعنا على

---

(١) يقصد الإحساس.

(٢) صحتها المروءة.

الإقدام على بناء الأساس المتين، والدليل الذى صار مشاهدًا للعيان، هذا إن كلًا من المتوظفين والمأمورين كان مطمح نظره مساعدة الخديو على الاستمرار فى هذا المنهج، والوصول إلى هذه الغاية، ومع أن أعمارنا لا تساعدنا على أن نكون المؤسسين / النهائيين لهذا القصد إلا أننا وضعنا [١٤٤] هذا الأساس ويجب على خلفائنا التوصل إلى المقصود النهائى، ثم قال تعيش مصر فى ظل الخديو المعظم إن شاء الله.

وفى يوم الخميس الحادى عشر منه، وصل الخديو إلى مصر المحروسة حيث كانت الساعة أربعة ونصفا[١] نهارًا، فأطلقت المدافع من قلعة الجبل واستقبله على محطة السكة الحديد النظار، ومأمورو الحكومة، ووجهاء المدينة، فركب عربته وعلى يساره الرئيس وسار إلى مقره بالإسماعيلية وفى بعد ظهر اليوم كانت التشريفة بسراى عابدين، وأطلقت المدافع ثانيًا.

وفى الثامن والعشرين منه، بعث مدير البحيرة خبرًا بأن قد انقطع أحد جسور المديرية فى الساعة السابعة من نهار هذا اليوم، فطغت المياه على بعض أراضى تلك الناحية وأغرقت منها نحو الأربعماية[٢] فدان فبودر باتخاذ الطرق المانعة، فتيسر منعها، ولم يتجاوز الضرر عن الأربعمائة فدان.

وفى الثالث من ذى القعدة صدر من ناظر ديوان الخارجية أمرًا بتعطيل الجريدة الإفرنسية / المسماة مساجيريه جبسيان، خمسة عشر يومًا لنشرها [١٤٥] أخبارًا موجبة للخوف والاضطراب، وذلك فإنها ذكرت فى عددين من أعدادها ما يأخذ منه[٣] أن رؤف باشا حكمدار السودان، تعدى حدود الأراضى المصرية وتوغل فى أراضى الحبشة، فوقع فى قبضة عساكرها، ولم ينج إلا بعد أن أرسل إليه حاكم زيلع المدد، وأنه بعد نجاته طلب من مصر

---

(١) صحتها الرابعة والنصف.
(٢) صحتها أربعمائة.
(٣) صحتها ما يؤخذ منها.

المحروسة جندًا لحفظ الحدود، فقالت[1] ناظر ديوان الخارجية: إن مثل هذه الأراديف[2] تخدش الأذهان، ولا سيما فى هذا الوقت، الساعية فيه الحكومة المصرية فى حل المسائل، ورفع الخطوب بالطرق السلمية، فضلاً عمَّا يترتب عليه من حدوث التنافر والوحشة، بين الحكومة المصرية ونجاشى الحبشة، قال: وفوق ذلك فإنه لا يتصور أن المدد يرسل من زيلع إلى الحبشة حالة كون زيلع كما لا يخفى على سواحل السومال، وحكمدار السودان هو فى
[١٤٦] الخرطوم فلذا نأمر بتعطيل جريدة المساجيرية جبسيان / خمسة عشر يومًا كاملة: وبناء على هذا الأمر أرسل محافظ مدينة الإسكندرية إلى صاحب الجريدة المذكورة صورة الأمر فلم يسعه إلا الإذعان والرضوخ.

وفيه أيضًا حكم على السيد حسن موسى العقاد بالأشغال الشاقة فى ليمان الإسكندرية مدة خمسة[3] سنين لطعنه فى أعمال الحكومة، وتداخله فى مواضيع سياسية ذات أهمية كبرى بل داعية إلى شق عصا الطاعة وسريان الفساد.

ولما كان لهذا الرجل اليد الطولى فى معظم الحوادث والخطوب، التى وقعت فى داخلية البلاد، قد أضربنا الآن صفحًا عن ذكر ترجمته ودواعى سجنه، ثم تبعيده عن الديار المصرية، وسنذكر ذلك بالتفصيل عند ذكر حوادث وقته كى لا تفوت الفائدة.

وفى الحادى والعشرين منه، كان بسراى عابدين تشريفة لتسليم النيشان الذى أهداه ملك إيطاليا إلى الأمير عباس بك ولى عهد الخديوية،
[١٤٧] وهو النيشان المعروف: بغران كوردون: وذلك / أنه فى هذا اليوم قبل الظهر بساعتين، اجتمع الرئيس مصطفى رياض باشا، وسائر النظار،

---

(١) صحتها: فقال.
(٢) بمعنى الأراجيف.
(٣) صحتها خمس.

وبعض مأمورى الحكومة، ورجالها واصطف فى رحبة عابدين فرقتان من الجند ثم توجه ذو الفقار باشا التشريفاتى الأول على عربة يستدعى قنصل جنرال دولة إيطاليا للإقبال بالنشان المشار إليه، فركب مع التشريفاتى المومى إليه، وسارت أمامهم فرقة من الجند المحافظين إلى أن وصلوا إلى السراى، فتقابل القنصل مع الخديو، وقدم إليه تحريرات من الملك مفادها، إهداء النشان إلى ولى العهد الأمير عباس بك، ثم شافه الخديو بما معناه، مولاى: إن هذا من أقوى الأدلة على حسن طوية الملك، وشدة ميله ومحبته القلبية بذات الخديو، ورغبته فى تأكيد ارتباط الوداد بين دولة إيطاليا ومصر، وإنى لمأمور برفع هذه المقالة من طرق سيدى الملك لسدتكم، وإنى أفتخر بتقديم هذا النيشان بيدى لسعادة الأمير الواقف الآن على يمين عظمتكم، فقال الخديو: إنى لفى تشكر ما عليه من مزيد، كما أن أقصى آمالى، هى توطيد أسباب / المحبة والميل بينى وبين عظمة الملك، وفى أثناء [١٤٨] حديثه أطلقت المدافع من قلعة الجبل فخرج القنصل، وتناول القهوة وانصرف، ثم تقدم الرئيس مصطفى رياض باشا وهنأ الخديو، ثم الأمير عباس بك، وتبعه فى ذلك سائر النظار ورجال الديوان الخاص، وبعض مأمورى الدواوين الملكية، وفى عصر ذلك اليوم ركب الأمير عباس فى أبهة وزينة عظيمتين، وزار القنصل فى مقره.

قلت وقد أهدى أيضًا ملك إيطاليا إلى كل من الرئيس مصطفى رياض باشا، والفريق مصطفى فهمى باشا ناظر ديوان الأمور الخارجية، نيشانا من رتبة الغران كوردون الإيطاليانى، فوفد عليهما رجال الحكومة يهنئونهما، وتوالت عليهما جمل التهانى والقصائد ركاما.

وفيه أيضًا وردت الأخبار إلى الخديو من دار السلطنة، بأن حسام الدولة عم شاه العجم، قام بباخرة خصوصية من الآستانة قاصدًا الأقطار

الحجازية، عن طريق ترعة السويس، فبعث الخديو خيرى باشا مهر داره ويوسف شهدى باشا، أحد ياورانه، وبعض معاونى التشريفات إلى مدينة
[١٤٩] بورسعيد، حيث ينتظرون ذلك الأمير، فعند وصوله/ أجريت له مراسم التعظيم وتقدم إليه مبعوثو الخديو، وبلغوه رسالة التحية فخاطب المهردار بخطاب أظهر فيه أمارات المودة والميل للخديو، ثم قامت باخرته وسارت نحو البحر الأحمر.

وفى الثالث والعشرين منه، استدعى الخديو السيد عبد الباقى ابن المتوفى السيد على البكرى نقيب الأشراف، وشيخ مشايخ الطرق والسجاجيد لتوجيه مسند النقابة إليه بدل أبيه، فتوجه إلى سراى الإسماعيلية وقابل الخديو فألبسه التاج المودع عند هذه العائلة من عهد قديم يلبسه من يتولى هذه الوظيفة، وخلع عليه فروة سمور، قيل: فبسط الشيخ يديه وألقى مقالة هذا نصها نقلاً عن جريدة الوقائع الرسمية.

الحمد لله ولى التوفيق، الهادى إلى أقوم طريق، والصلاة والسلام على سيدنا صاحب أبى بكر الصديق، وعلى الله وأصحابه، وأتباعه، وأحبابه صلاة وسلامًا متلازمين إلى يوم الدين، أما بعد: فقد أفلح من أحيى[1] مشاعر الدين، وأرشد الناس إلى سنة سيد المرسلين، وأن الطريق
[١٥٠] لا يسلكه المريد ولا يهتدى إليه المستفيد إلا إذا هداه شيخه إليه،/ ودله بأنواره عليه فإذا انتقل هذا الشيخ وقضى، وولى إلى ربه. ومضى، تعين على الإمام أن يجعل له خليفة وأن يوكل أحدًا بأداء الوظيفة، فلله ما أحكم صنع الخديوى الأكرم، وما أجمل فعله، وما أعظم تذكره بما حل بالمنتقل، فتأسف عليه وتكرم على ولده من بعده، وأحسن إليه وأبى إلا أن يكون البيت ملحوظًا بعنايته، داخلاً تحت رعايته وحمايته، فصدر مرسومه الشريف وتحرر

---

(١) صحتها أحيا.

أمره المنيف بما نحن فى صدده، وكلنا نستمده بمدده فنسئل[1] الله العظيم رب العرش الكريم، أن يطول عمره وينفذ أمره، وتجعل أيامه بواسم وأعوامه مواسم وأن يحفظ أنجاله الكرام على ممر السنين والأيام بجاه النبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام آمين.

ثم خرج من السراى، وركب بغلته، وسار إلى داره بالخرنفش وأمامه أرباب الأشاير، والطرق ومعهم البيارق والطبول والمزامير والكاسات وهم فى ضجة زائدة، وكان حوله بعض الجند والشرطة يمنعون السوقة والحرافيش ومكفوفى/ البصر من الاندفاع على الشيخ للتبرك بملامسته، [١٥١] وكانت الشوارع والطرقات غاصة بهم وهم يزاطون[2] حتى دخل داره.

وفى الثالث من ذى الحجة، صدر منشور من ديوان الخديو الخاص مفاده أن رسوم تشريفات عيد الأضحى فى هذا العام سيكون إجراه[3] بسراى عابدين فى يوم السبت عاشر الحجة، وفيه أيضًا صدر حكم على محمد أفندى فنى الذى كان وقتئذ رئيس قلم الترجمة بديوان المالية، بطرده من الخدامات الميرية وسجنه فى الطوبخانة سنتين كاملتين، قيل لكونه طعن فى الحكومة وندد على أعمال الرئيس مصطفى رياض باشا بمعاونة بعض ضباط الجند وحكم على الضباط أيضًا بالسجن والعزل من وظائفهم العسكرية.

قلت وهذه كانت باكورة انحراف ضباط الجند على الرئيس، وكراهتهم فيه، ومراقبة أعماله، وتعداد سقطاته وغلطاته فى أنديتهم، ومحافلهم الليلية، ورميه باللوم والشطط والمروق عن الدين وبغض البلاد وأهلها والتزلف للإنكليز، وتوطيد أقدامهم/ فى داخلية البلاد ومن ذاك الحين كثر تألبهم [١٥٢] وتجمعهم، وقد غصت محافلهم بكل ذى حاجة ومطرود، ونادى.

---

(١) صحنها فنسأل. (٢) يحدثون ضجيجًا. (٣) الصحيح إجراؤها.

بينهم منادى القلق الدائم، والكمد الملازم، فكان منهم أن تحالفوا وارتبطوا برباط المواثيق والعهود، وعملوا على فك الأعناق من رق العبودية، وكسر قيود المذلة، وسد أبواب السجون، وموارد العذاب التى كانوا يقولون: إن الرئيس فتحها لمن كان يتوسم فى وجهه أنه منكر على أعماله إلى أن كان منهم من الأعمال ما سيأتى ذكره إن شاء الله فى حوادث سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف.

وفى الرابع عشر منه، نشر الفريق مصطفى فهمى باشا ناظر الأمور الخارجية منشورًا لقناصل الدول الأجنبية، مفاده تعيين الرئيس مصطفى رياض باشا رئيس اللجنة الدولية المراد انعقادها لتنقيح قوانين المحاكم المختلطة وقد كان توقف انعقاد هاته اللجنة على حضور البارون دى رنج قنصل الفرنسيس الجديد بمصر، وقد شاع يومئذ أنه سيقدم فى الحادى والعشرين من ذى الحجة.

[١٥٣] وفيه أيضًا علم من الأخبار التى أتت بها الجرائد/ الأجنبية إلى مصر المحروسة، أن قد اجتمع إسماعيل باشا الخديو المخلوع بجاريبا لدى رجل الحرية فى بلاد إيطاليا، عندما كان فى مدينة ميلان من مدن إيطاليا وذلك أنه لما وصل جاريبالدى إلى نزل ميلان، طلب إسماعيل باشا الاجتماع به فأجابه إلى ذلك، فدخل عليه وحيا وسلم وتكلم بلغة الفرنسيس، فقال: له جاريبالدى إننى سعيد على مشاهدتكم لسببين الأول لكونى أميل بالمحبة إلى الأتراك، وأعتبرهم كإخوان لنا فإن جميع العالم إخوان بعضهم بعضًا على كل حال، نعم إنا وإن كنا حاربنا الترك فى بعض الأزمان، ولكن ذلك ليس إلا من سوء حكومتهم، وتركهم الواجبات المفروضة عليهم، الداعية لتوطيد دعائم ملكهم، أما من جهة المسلمين فإنى أحبهم وأرغب سعادتهم ونموهم ودوام خيرهم عن إخلاص طوية.

أما السبب الثانى الذى حبب إلىّ هذا الاجتماع، فهو لكى أتمكن من إظهار ميلى نحوكم وحسياتى[1] المنجذبة إليكم، وإنى لمتأسف على عدم معرفتى بلاد مصر وما هى عليه الآن، ولكنى مع ذلك على علم بما شاع مما فعلتموه من خير لتلك البلاد، كما أنى أعلم أن مساعيكم كانت
١٥٤ مصروفة/ لجعل بلادكم فى أعلى درجات المجد والرفاهية، وقد نجحت مساعيكم نجاحًا أهنئكم عليه، أما الحوادث التى كانت سببًا فى إخراجكم من بلاد مصر وإبعادكم عنها، فقد أذهلتنى، ويعلم الله وأثرت فىّ تأثيرًا مؤلمًا جدًّا ولكنى على ثقة من أنه لابد من إنصافكم والأخذ بناصركم فى عهد ليس ببعيد، ومع أنه لا يمكننى أن أمد يدى لمصافحتكم، لعلنى وتمرضى إلا أنه كونوا على ثقة وتحقيق أن أميالى وعواطفى موجه نحوكم، ولا تبرحون أبدًا من فكرتى: قيل فأجابه الخديو إسماعيل من معنى كلامه، وحياه وانصرف قلت، فلما شاعت هذه الأخبار بمصر المحروسة كثر لغط الناس وتحدثهم بها، وذهبوا[2] رجال الخديو إسماعيل فى تأويل عبارات جاريبالدى مذاهب شتى، فمن قائل: إنه سيتعاهد مع الخديو المومى إليه على إشهار الحرب ضد من كان السبب فى تنزيله من مسنده وإرجاعه إلى بلاد مصر رغم أنف كل مكابر، ومن قائل: إنه سيعمل معه على استمالة الدول إليه وإرجاعه إلى مسنده القديم نكاية فى السلطان، وغير ذلك من الأقاويل التى لا يسعنا جمعها.

وفى ليلة السابع عشرة منه، ماتت الست أوقومش قادن أفندى ثانى نساء محمد على باشا، جد العائلة المالكة، ولم تعقب نسلاً، وفى صبيحة
١٥٥ السبت السابع عشر منه شيع جنازتها الكثير من/ رجال الحكومة ومأموريها[3] وسائر النظار، وضباط الجند، ووجوه المدينة، وجم غفير من العلماء، وحملة الكتاب. وكان أمامها أيضًا فريق من الحرس الخديوى،

(١) مساعرى. (٢) صحبها وذهب. (٣) صحبتها ومأمور.

وفرقة من الجند المحافظين، والشرطة وخلفها كثير من العربات، تحمل نساء العائلة الخديوية، ودفنت بقرافة الإمام الشافعى بمزار العائلة المالكة، قيل ولها من العمر خمسة[1] وتسعون سنة، وصدر الأمر فى ذلك اليوم لجميع العائلات التى من ذرية محمد على وأتباعها بلبس الحداد أربعين يومًا كاملة، وعطلت بعض محال القصف واللهو كالتياترو ثلاثة أيام، وتأخر تقديم النيشان الذى أهداه قيصر الروس إلى الخديو ثمانية أيام، وهو نيشان
[١٥٦] النسر الأبيض من الدرجة الأولى، وكان حضوره/ على يد قنصل جنرال الروس بمصر، وتأخر أيضًا زفاف جميلة هانم أفندى ابنة الخديو إسماعيل وأخت الخديو الحالى إلى الأمير أحمد بك بن إبراهيم باشا، جد الخديو وفى العشرين منه اجتمع أعضاء لجنة تعداد الأنفس، وقرروا بأن يتم التعداد فى جميع القطر المصرى فى اليوم التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف، وفيه أيضا اجتمع قنصل جنرال الفرنسيس بعد عودته من بلاده بالخديو، قيل وتحادث معه فى شأن لجنة المحاكم المختلطة، ثم اجتمع بالفريق مصطفى فهمى باشا ناظر الأمور الخارجية للمداولة فى التنقيحات المراد إدخالها فى قانون المحاكم المذكورة، وقد شاع فى هذا الحين أن حكومة الفرنسيس كلفته بأن يشدد فى عدم تغيير هيئة القوانين الموجودة، فكان لهذه الإشاعة أثرا مؤلمًا[2] جدًّا فى الحكومة، وفيها أيضًا صدر منشور من ديوان الخديو الخاص بأن رسم تبريك السنة الهجرية الجديدة، سيصير إجراؤها بسراى عابدين فى يوم السبت فى الساغ اثنين
[١٥٧] ونصف[3] صباحًا/ لغاية الساعة السادسة من النهار بالكساوى المعتادة وضباط الجند بكساوى اليومية والنياشين وفى الثامن والعشرين منه، قام من الإسكندرية إلى مدينة السويس على وابور الصباح الشريف عبدالله

---

(١) صحتها خمس. (٢) صحتها أثر مؤلم. (٣) صحتها الثانية والنصف.

وإخوته حيث حضروا من دار السلطنة قاصدين الأقطار الحجازية، وقد كان الخديو أرسل يعلمهم بأن باخرة القصير أعدت للتوجه بهم، ووقف يومئذ لانتظارهم بالمحطة بجند الشرطة، وودعهم جم غفير من أعيان مدينة الإسكندرية، ومحافظ المدينة ووكيل ديوان البحرية، وتوجه معهم إلى السويس محمد صدقى بك ياور الخديو ومبعوثه، وفى اليوم الثانى من وصولهم إلى مدينة السويس توجهوا إلى الأقطار الحجازية، وكان الشريف المومى إليه حضر من الإسكندرية إلى مصر المحروسة، واجتمع بالخديو ثم عاد إلى الإسكندرية بصحبة طلعت باشا كاتب الديوان الخاص، ومنها توجه إلى الأقطار الحجازية كما تقدم.

وفيه أيضا لما صادقت الدول الأجنبية على تشكيل اللجنة الدولية المكلفة بالنظر فى تحرير قوانين / المحاكم المختلطة، رأت الحكومة أن تسرع فى تنظيم [١٥٨] اللوائح وإعدادها، حتى إذا ما انعقدت اللجنة العمومية كان كل شىء حاضرًا فى وقته، فعينت فى هذا اليوم لجانًا عديدة لإعداد ما يلزم وسمتها باللجان الثانوية، وشكلت أولاً لجنة للنظر فى القانون المدنى يرأسها المسيو أرا، وأعضاؤها بوريلى بك محامى ديوان المالية وقدرى بك أحد أعضاء محكمة الاستئناف المختلطة، والمسيو فاشر، وثانيا لجنة للنظر فى القانون التجارى يرأسها عبد السميع أفندى، وأعضاؤها كحيل بك، والمسيو فاشر، وثالثًا لجنة للنظر فى قانون الدخول فى الدعاوى المدنية والتجارية يرأسها المسيو إر أو أعضاؤها بوريلى بك، وبطرس باشا غالى، والمسيو فاشر، ورابعًا لجنة للنظر فى القانون الجنائى، وفى بداية التحقيق يرأسها المسيو فاشر، وأعضاؤها بطرس باشا غالى وكحيل بك ومستشارها إبراهيم باشا خليل، ومحمود بك حمدى فأعدت هاته اللجان لوائحها التى ستنظر فيها اللجنة الدولية الأساسية المؤلفة من قناصل جنرالية الدول كما مر بيان ذلك فى محله.